



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور - الجلفة -

كلية: العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: علم النفس و الفلسفة



المسألة الأخلاقية في الفكر المغربي المعاصر

طه عبد الرحمان أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

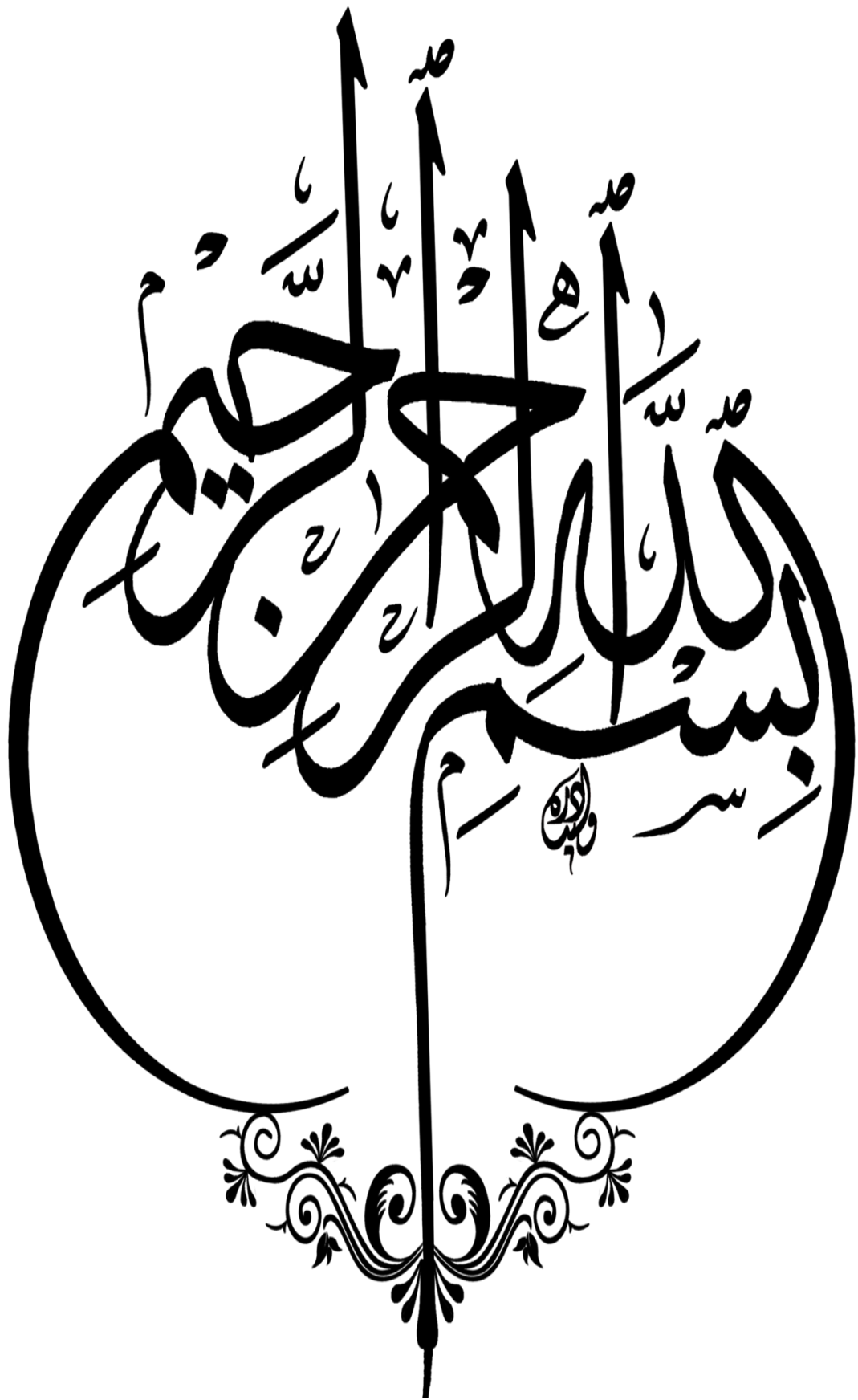
إشراف الأستاذة(ة):

د. عمري شهرزاد

إعداد الطالب:

بوذراع نذير

السنة الجامعية: 2021/2020م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

شكر و عرفان

الحمد لله حمدا كثيرا الذي وفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع ،
فجزاه الحمد حتى يرضى ، وله الحمد بعد الرضا .
كما أتوجه بالشكر الجزيل الى الأستاذة *لعمري شهرزاد*
التي لم تبخل عليا بنصائحها وارشاداتها القيمة .
كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم الفلسفة .
وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة .

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدتي الكريمة
أطال الله في عمرها .
إلى من بعثت فيا روح التفاؤل ورمز الحنان
والعطاء زوجتي العزيزة .
إلى جميع أفراد العائلة كل باسمه .
إلى كل الزملاء والزميلات في الدفعة .

مقدمة

مقدمة:

تشكل الأخلاق مرجعية ضابطة لحدود مشروع طه عبد الرحمان إلى درجة أن المقولات الأخلاقية، إبداعا و نقدا و تجديدا تخترق مشروعه كله، و يصعب علينا أن نجد كتابا لطه عبد الرحمان أو دراسة إلا و فيه اشارة إلى الارتباط الوثيق بين الأخلاق و بقية القطاعات التي يشتغل فيها طه عبد الرحمان ، لهذا اعتبرت الامساك بخيوط المسألة الأخلاقية في مشروع طه عملا ضروريا لفهم مباحثه الفلسفية.

اذن طه عبد الرحمان يعتبر من فئة المفكرين المتميزين بأصالة أفكارهم حيث لم يعمل على الأخذ بالمذاهب و النظريات الأخلاقية و فقط، و انما سعى لتقديم نظرية فلسفية عربية جديدة بينت موقفه من المسألة الأخلاقية و علاقتها بالعقل و الدين.

بالنظر إلى كل ما سبق و ما تميز به فكر طه عبد الرحمان حاولت تقديم قراءة و جيزة لفكره ساعيا إلى حصر موضوع القراءة "في المسألة الأخلاقية" .

وهذا ما دفع بي إلى طرح الاشكالية التالية:

ما دواعي انشغال طه عبد الرحمان بالمسألة الأخلاقية؟

و قد أدرجت تحت هذه الاشكالية عدة مشكلات جزئية.

- ما منظور الأخلاق عند طه عبد الرحمان؟.
- ما علاقة الأخلاق بالعقل في فلسفة طه عبد الرحمان؟.
- ما هي ملامح المشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمان؟.

و لمعالجة هذه الاشكالية قسمت هذه المذكرة إلى : مقدمة وثلاث فصول و خاتمة.

أما المقدمة فتناولت فيها الإحاطة بالموضوع ثم طرح اشكاليته العامة مع مشكلاتها الجزئية.

الفصل الأول عنونته بـ "تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور" و الذي يحتوي على ثلاث
مباحث :

المبحث الأول: تناولت فيه المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للأخلاق و كذلك عند طه عبد
الرحمان.

أما المبحث الثاني: "تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور".

و المبحث الثالث: "مدخل إلى المشروع الأخلاقي لطه عبد الرحمان" الذي يحتوي على
السيرة الذاتية لطه عبد الرحمان و منهجه و أهم مؤلفاته.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه: "الأخلاق و علاقتها بالعقل في فلسفة طه عبد الرحمان"
حيث قسمته إلى مبحثين، خصصت المبحث الأول للعقل الأخلاقي الاسلامي من منظور
طه عبد الرحمان، تناولت فيه عدة نقاط أولها مفهوم العقل عند طه عبد الرحمان وعوائق
ابداعه، ثم نقده للعقل العربي، أما المبحث الثاني فكان عنوانه: "عقلية الأخلاق عند طه عبد
الرحمان" حيث تناولنا في الأول النظرية الأخلاقية الاسلامية عند طه عبد الرحمان، و في
الثاني تطرقنا إلى مراتب العقل عند طه عبد الرحمان.

و فيما يخص الفصل الثالث فقد عنونته بـ: "المشروع الأخلاقي لطه عبد الرحمان" حيث
تحدثت فيه أولاً عن موقفه من النظريات الأخلاقية و ثانياً عن النظرية الأخلاقية الطاهنية
التي تتطوي أولاً على البعد الديني لهذه النظرية، ثانياً على مقاصدها و أخيراً على النقد
الموجه لطه عبد الرحمان.

أما الخاتمة فقد كانت عبارة عن حوصلة من الاستنتاجات، توصلنا إليها من خلال دراسة
فكر طه عبد الرحمان فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي.

و عليه فالمنهج الذي استخدمته كان المنهج التحليلي و النقدي الذي يسمح لي بدراسة و تحليل أهم أفكار طه عبد الرحمان الفلسفية الأخلاقية ودراسة بعض القضايا الأخلاقية التي اهتم بها العديد من المفكرين.

أما فيما يتعلق بأسباب اختياري هذا الموضوع فكانت ذاتية و أخرى موضوعية.

فالذاتية تمثلت في شغفي لحب المعرفة و الاطلاع، كون الأخلاق من أهم القضايا التي شغلت عقل المفكرين.

أما الموضوعية فالمسألة الأخلاقية في فكر طه عبد الرحمان تعتبر مبحثا جديدا بالدراسة و التحليل نظرا لعمق ما يطرحه خدمة للأمة .

ومن بين الصعوبات التي واجهتني في انجاز مذكرتي هذه هو غياب دراسات كافية و متنوعة خاصة في مجال الأخلاق، اضافة إلى اصطدامي ببعض المفاهيم و المصطلحات صعبة الفهم نظرا لخصوصيتها و ارتباطها بالدين الاسلامي.

ولقد استندت إلى مجموعة من المصادر و المراجع في جمع المعلومات من بينها: "سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية" و " العمل الديني و تجديد العقل" .

و في الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في تحليل هذه الاشكالية، شاكرا المولى عز و جل أن منحني القوة و العزيمة لإتمام مذكرتي هذه.

الفصل الأول

تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق:

تمهيد:

إنّ مفهوم تطور المفاهيم الأخلاقية لهو من المواضيع الهامة التي سال فيها الكثير من المداد والمناقشات والجدالات الفلسفية والكلامية بين مختلف الاتجاهات الفكرية الإنسانية والتي من خلالها تمكنا من فك طلاسم تطور الأفراد والمجتمعات الإنسانية التي تقوم على هذه الأخلاق وتترجم إلى معارف وشعور وغايات ووسائل.

1-المفهوم اللغوي :

الأخلاق جمع خلق، والخُلُق -بضمّ اللام وسكونها- هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.¹

وقال الرَّاغب: (والخُلُقُ والخُلُقُ في الأصل واحد... لكن خص الخُلُق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة).²

ويقال الأخلاق في اللغة جمع خلق، وهو العادة و السجية و الطبع و المروءة و الدين ، وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم روية وفكر و تكلف ، وقد يطلق لفظ الأخلاق على الأفعال الصادرة عن النفس المحمودة كانت ، أو مذمومة.³

الأخلاق في الدلالة اللغوية تعتبر جملة الأفعال و السلوكات التي تصدر عن النفس و تكون محمودة مما يدل على أدب الشخص ، أو مذمومة تدل على أن هذا الشخص سيئ الطباع ويمكن أن نستنتج أن من الناحية اللغوية أن لفظ خلق تعني السجية و الطبع ومن هنا نعني

¹ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، ، ط3، دار الحديث القاهرة، 2013ص 881.

² ابن منظور ، لسان العرب، ط2 ، دار المعارف، القاهرة، 2007 ص 86.

³ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 49.

تكرر السلوك في الإنسان بحيث يكون ذا خاصية معينة فنصفه إما القبح و إما بالحسن" وهذه هي الحلقة التي تدور عليها القيم¹.

2-المفهوم الاصطلاحي:

عرّف الجرجاني الخلق بأنه عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً².

وعرفه ابن مسكويه بقوله: (الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفرع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولاً فأولاً، حتى يصير ملكة وخلقاً³.

و الأخلاق في الاصطلاح الشائع هي: " علم السلوك الذي موضوعه الفضائل و الرذائل و طبيعتها و كيفية اكتسابها و تهذيبها" حيث عرف ابن مسكويه الأخلاق بقوله" الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية" ، وهذا الحال ينقسم إلى قسمين ، منها يكون طبيعياً من أصل المزاج مثل أن الإنسان الذي يرتاح بسماع خبر ما يفرحه ، ومنها ما

¹ رضا شريف : أسئلة التراث و الحداثة في فكر محمد عابد الجابري (المعرفة ، السياسة ، الأخلاق)، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2018، ص307.

² الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، 2010، ص 101.

³ ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق، ط2، المطبعة الحسينية، جمهورية مصر العربية، 2017، ص 41.

يكون مستفادا بالعادة و التدريب ، وربما كان مبدؤه الفكر ثم يستمر أولا فأولا ، حتى يصير ملكة وخلقاً.¹

3- مفهوم الأخلاق عند طه عبد الرحمان:

يرى طه عبد الرحمان أن اليونان استخدموا كلمة Ethico أي خلقي ، وهو ما نقله اللاتينيون التي لغتهم Moralis أما المتقدمون فقد استخدموا اللفظين بمعنى واحد أي كمرادفين ، بينما المفكرون المعاصرون أقررو بالفروقات الموجودة بينهما و نتج عن ذلك أربع مواقف:

الموقف الأول:

يرى أن كلمة Morale عبارة عن جملة الأوامر و النواهي المقررة عند مجتمع مخصوص في فترة مخصوصة ، أما Ethiques فهي العلم الذي ينظر في أحكام القيمة التي تتعلق بالأعمال إما تحسينا أو تقبيحا² .

الموقف الثاني:

يرى أن كلمة Morale تختص بكونها واحدة و كلية تجري أحكامها بالسوية على الناس جميعا، في حين Ethique تختص بكونها متعددة و شخصية تختلف معانيها باختلاف مذاهب الأشخاص، وأنساق الفلاسفة و يعتبر هذا الموقف أن الكلمة الأولى أعلى درجة من الثانية.

¹ رحيب أبو رغييف الموسوي: الدليل الفلسفي الشامل ، دار الحجة ، البيضاء ، لبنان ، ج1 ، 1 ط ، 2013 ، ص 56.

² طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، 2000 ، ص 17.

الموقف الثالث:

يعتبر Morale خطاب معياري يبني على التعارض الموجود بين الخير و الشر باعتبارهما قيمتين مطلقتين بغية كمال الفضيلة، أما بالنسبة إلى كلمة Ethique فيعتبرها خطابا معياريا يبني على التعارض الموجود بين الخير والشر ، باعتبارهما قيمتين نسبيتين قاصدا تحصيل السعادة.

الموقف الرابع:

ينظر إلى Morale على أنها دائرة التأمل التي تبحث في مسألة الخير والشر من زاوية ما بينما يجب أن يكون Ethiques هي دائرة التأمل في مسألة الخلاص أي المصير النهائي للحياة الإنسانية.

يغلب على فكر طه عبد الرحمن انه فكر أخلاقي حيث حاول طه عبد الرحمن إخراج الإنسان من أنه كائن عاقل في الفلسفة الغربية إلى كائن أخلاقي في الفلسفة الإسلامية. فطه عبد الرحمن نظر إلى الإنسان من جانبه الأخلاقي و ركز عليه في مشروع الفكري، وبذلك أعطى الأولوية الأخلاقية على العقلانية.

ومن هنا يعرف طه عبد الرحمن الأخلاق قائلا : " أن الأخلاق مأخوذة من الدين وتوضيح ذلك أنها تدور على الخير والشر، والخير والشر قيمتان لا تنتشآن من الواقع، لان الواقع لا ينشئ إلا الواقع، والقيمة أمر واجب والواجب خلاف الواقع." ¹

وعليه نلاحظ إن طه عبد الرحمن قد ربط بين الأخلاق والدين، ولا يمكن الفصل بينهما حيث انه لا يمكن تصور دين بلا أخلاق، كما انه لا يمكن تصور أخلاق بدون دين والمنبع الحقيقي للأخلاق هو الدين.

¹ طه عبد الرحمن: تعددية القيم، ما مداها وحدودها، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب، 2001 ، ص

ربط بين الأخلاق والدين، ولا يمكن الفصل بينهما حيث انه لا يمكن تصور دين بلا أخلاق، كما انه لا يمكن تصور أخلاق بدون دين.

ويؤكد طه عبد الرحمن على وجود الأخلاق في الحياة الإنسانية، حيث لا يمكن الاستغناء عنها، حيث يعتبرها عنصراً أساسياً لتحقيق الاتزان في الحياة البشرية. ويواصل طه عبد الرحمن في تعريفه للأخلاق: " إن ماهية الإنسان تحددها الأخلاق وليس العقل. بحيث يكون العقل تابعاً للأخلاق، فيكون محموداً متى أفاد و مذموماً متى أساء و ليس بالعكس ".¹

حيث ربط طه عبد الرحمن الوجود الإنساني بوجوده الأخلاقي، فليس العقل هو ما يحدد الإنسان، وإنما أخلاقه، فالأخلاق تعكس شخصيته ووجوده وماهيته.

يعتبر طه عبد الرحمن إن الأخلاق أولى من العقل، ومن هنا فإن الإنسان كائن أخلاقي و ليس عقلائي فأفعاله وتصرفاته هي أفعال أخلاقية وليست عقلانية.

ويمكن أن نلخص إلى أن الأخلاق من منظور طه عبد الرحمان لا بد أن تكون أخلاقاً كونية (أو ما يسمى بالأخلاق العالمية) وعميقة تتسم بالحركية ليصطلح عليها فيما بعد بأنها الأخلاق الحسنى، والتي بإمكانها أن ترد الهوية الإنسانية إلى أصلها، والمتمثل في الدين.²

المبحث الثاني: تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور:

علم الأخلاق هو أحد المباحث الفلسفية التي تهتم باستقصاء ودراسة الفضيلة بمعناها المجرد الإنساني، وقد شهدت البشرية على مدار التاريخ العديد من المحاولات لتتظير هذا العلم وتحديد إطار محدد يحصر أهم المفاهيم والمقاصد التي يتناولها، و مع تقدم الوعي الانساني

¹ طه عبد الرحمان، تعددية القيم، المرجع السابق، ص 38.

² طه عبد الرحمن : روح الحداثة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 15.

استطاع العقل البشري بلورة الأفكار الرئيسية لهذا العلم في مجموعة من المبادئ و القيم و في هذا الصدد نطرح ماهية هذا العلم و أهم محاوره.

و مما سبق يمكن تقسيم تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور إلى ثلاث مراحل متميزة ، لكل مرحلة خواصها و كیفیاتها¹ :

1- الفترة اليونانية و تبدأ من عام 500ق.م و تنتهي عام 500م.

2-فترة العصور الوسطى التي تبدأ من عام 500 بعد الميلاد إلى عام 1500 ميلادية.

3-الفترة الحديثة و تبدأ من عام 1500م حتى يومنا هذا.

و أول ما نستهل به هو الأخلاق عند اليونان باعتبار أن هذا المفهوم نشأته تعود إلى 500 سنة قبل الميلاد.

أ- الأخلاق عند اليونان:

قام بعض فلاسفة الأخلاق الاغريق أمثال (سقراط، أفلاطون، أرسطو، و غيرهم) بتعريف الإنسان بأنه حيوان أخلاقي، فهو لديه الصفات الحيوانية لأنه يشارك الحيوانات في الرغبة لإشباع رغبات الجسد وحاجات الغريزة، فهو يسعى دومًا إلى البحث عن المأكل والمأوى والرفيق والعائلة لكي تستمر حياته و يحفظ نوعه، و يصدر عن سلوكه أمور طبيعية مثل الحب والكراهية، لكن الإنسان ينفرد عن الحيوان بخاصية التأمل العقلي، فهو يستطيع أن يتجرد من شهواته ويفكر ويتأمل، وهو لديه وعي و يستطيع أن يتخذ القرار وأن يضبط دوافعه وأن يسيطر على أهوائه وأن يوجّه قراراته، فهكذا يكون الإنسان هو الكائن الأخلاقي الوحيد الذي يحمل القيم الأخلاقية التي ترد للإنسان كرامته وتجعله ساميًا عن أية دوافع مادية وطبيعية، وفي الواقع فإن الإنسان لا يستطيع أن يترك واقعه الطبيعي المادي لأنه جزء منه لكنه

¹ وليام ليلي : مقدمة في علم الأخلاق ، تربية وتقديم علي عبد المعطي محمد ، دار الكتب و الوثائق القومية ، الإسكندرية، د.ط ، 2000، ص56.

يستطيع تسيير هذه الطبيعة لتحقيق قيمه السامية، وأيضاً فإن الإنسان حر، أما الحيوان فهو خاضع لنزواته ودوافعه ولا يستطيع الاختيار، فإذا الإنسان هو الحيوان الأخلاقي القادر على تسيير حياته وسلوكه حسب المبادئ والقيم الأخلاقية فيسمو فوق الحيوان ليصبح الإنسان.¹

و على هذا الأساس ارتأينا أن نقدم التصور الذي يقدمه فلاسفة اليونان عن مفهوم الأخلاق بداية من سقراط إلى أفلاطون و أرسطو.

• الأخلاق عند سقراط:

يرى سقراط* أن الفضيلة ضبط للأفعال لتحقيق الاعتدال و ضبط للانفعالات و الأهواء لتحقيق الاتزان فالشجاعة مثلاً: هي توسط بين الجبن و التهور، والكرم وسط بين البخل و التبذير، الفضيلة تعتبر إذن هي وسط بين رذيلتين، ومصدر الفضيلة هو العلم.²

حينما عبر السفسطائيون عن ضيقهم من القيم الأخلاقية التي كانت سائدة في عصرهم، بدأوا في هدمها ليمهدوا الطريق إلى بناء قيم أخرى أصلح وأسلم، وكانوا بهذا الموقف يمثلون النزعة الإنسانية من ناحية ومن ناحية أخرى يمثلون عصر التنوير في الفكر اليوناني، لكن بعد أن بدأت أفكار السفسطائيين في الانتشار وترويجهم لآرائهم حول إنسانية القيم ونسبيتها والطابع الاتفاقي الاجتماعي الذي تمتاز به، كانت هذه الأفكار بمثابة هدم لأساسيات في الحياة الاجتماعية عند اليونان، فمن الطبيعي أن يأتي أشخاص من هذا المجتمع ليردوا على تلك الآراء ويدحضوا حججهم، فظهر سقراط الفيلسوف اليوناني الشهير الذي أعاد لليونانيين اتزانهم الأخلاقي بعد آراء السفسطائيين الهدامة، ويعتبره البعض أول مؤسس لعلم الأخلاق،

¹ علي سعيد، لمحة عن الفكر الأخلاقي في الفلسفة اليونانية، ط2، دار المعارف ، القاهرة، 2010.

* سقراط: فيلسوف و حكيم يوناني (470 ق م-399 ق م) يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات و جل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلاميذه عنه.

² اسعد السمراني : الأخلاق في الإسلام و الفلسفة القديمة ، ط1، دار النفائس ، بيروت ، 1988، ص 84.

فناهض سقراط السفسطائية منذ بداية حياته الفلسفية ولاحق السفسطائيين في كل مكان وظل يحاورهم في الأسواق ويجادلهم بالمنطق ويفضح جهلهم ويكشف مقصدهم.

لذلك نجد سقراط ضد أفكارهم الهدامة التي تخل بأسس أخلاق المجتمع، ومع هذا فهو ليس من المتشبهين بالعادات والتقاليد، أي أننا يمكن أن نقول عنه أنه (وسطي)، قال سقراط بأن الإنسان يمكنه أن يتوصل بعقله إلى مجموعة من المبادئ الأخلاقية التي تجعله يتمكن من التوفيق بين المنفعة الشخصية والمنفعة العامة، ويمكن أن تكون هذه المبادئ صالحة للتطبيق في كل مكان وزمان، ونحن نجد أن السفسطائيين قدموا مصطلحات بليغة رنانة مثل "العدالة شريعة الأقوى" التي قالها ثراسيماخوس (Thrasymachus) و"الإنسان مقياس الأشياء كلها" لقائلها بروتاجوراس (Protagoras)، لكن سقراط بدأ في البحث عن الأخلاق الأرستقراطية وأخلاق الأسواق، فلم يجد القاعدة الكلية الواحدة التي كان يبحث عنها، واضطر إلى أن يقول بضرورة وجود هذه القواعد الكلية التي بدون وجودها لن نستطيع أن نسوغ الأفعال الإنسانية.¹

• الأخلاق عند أفلاطون:

اعتمد أفلاطون* في وضع فلسفته الأخلاقية على نظريته في ثنائية النفس و البدن ، وتتلخص نظريته في أن النفس كانت لها حياة سابقة في عالم الآلهة ، وهذا ما يسميه أفلاطون بعالم المثل ، وبعد ذلك عوقبت النفس لسبب ما ، دخلت في الجسد و لهذا يقول أفلاطون " البدن سجن النفس"، بحيث أصبح الجسد مانعا و عائقا لتحقيق الفضائل و هذا ما أكد عليه أفلاطون بأن الفضائل و القوانين الأخلاقية ، يتم توليدها بالحوار لهذا كانت كتابات أفلاطون أغلبها بأسلوب المحاورات ، بحيث يرى أفلاطون أنه من واجب الإنسان

¹ أحمد عثمان ، الأدب الإغريقي، تراثاً إنسانياً وعالمياً، ط2، دار المعارف، القاهرة: ، ص347.

* أفلاطون: فيلسوف يوناني كلاسيكي ولد في اثينا سنة 430 ق م وكانت وفاته سنة 348 ق م من مؤلفاته: "كتاب الجمهورية".

كي يحيا حياة فاضلة أن يتسامى فوق مطالب الجسد ونوازع الشهوة ويسعى إلى تزكية
وطهارة نفسه ، وبوجهها إلا في تحصيل المعرفة و الحكمة ،وعلينا أن نقضي على الرذيلة
و نحارب الجهل .¹

و المتتبع لفكر افلاطون يلاحظ ان هناك تداخلا بين المبحث الأخلاقي عنده مع ابحائه في
النفس الانسانية، لذلك يبني فلسفته الأخلاقية على نظريته في ثنائية النفس و البدن، فالنفس
هي جوهر روحاني بسيط من عالم المثل، و بعد معاقبتها دخلت في الجسد و لهذا يقول
أفلاطون: "البدن سجن النفس"² فالجسد أصبح بمثابة عائقا لتحقيق الفضائل.

فالفضيلة عند أفلاطون هي زهد، أي أنها التقرب الى الله تعالى و الابتعاد عن ملذات
الحياة، و التخلص من شهواتها و الابتعاد عن ملذات الحياة، والتخلص من الآلام هو السبيل
الوحيد إلى تحقيق السعادة و عليه فمعرفة الفضائل و العمل بموجبها يكون باكتساب العلم و
المعرفة.³

-إذا تحققت هذه الفضائل الثلاث للأنفس بحيث خضعت الشهوانية للعصبية و الفضيلة
للعاقلة تحقق في النفس النظام و الانسجام و هذه هي الحالة التي يسميها أفلاطون بالعدالة
و من هنا عرفت الأخلاق عنده بأنها أخلاق العدالة حيث قال: " إن الشخص العاقل لا
يسمح لأي جزء منه بفعل شيء خارج عن طبيعته"⁴.

¹ اسعد السمراني : الأخلاق في الإسلام و الفلسفة القديمة ، المرجع السابق، ص 74.

² المرجع نفسه، ص 74.

³ المرجع نفسه، ص 74.

⁴ ول ديورانت: ترجمة فتح الله المشعشع، قصة فلسفة، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ص 53.

• الأخلاق عند أرسطو:

تقوم فلسفة أرسطو * الاخلاقية على قاعدة أساسية بالغة الأهمية و هي أن الانسان كائن اجتماعي بالفطرة، هذه الأخيرة تجعل الانسان دائما يسعى إلى الاجتماع مع غيره من أجل تأمين الحاجات الضرورية و بذلك يكون تحقيق سعادة المجتمع المنشودة، فالأخلاق الأرسطية اذن ليست علما نظريا متعلقا بالظواهر الأخلاقية و انما يتصف الانسان بالفضائل اذا ما قام بممارستها.

فالفضيلة عند أرسطو هي وسط بين رذيلتين فمثلا فضيلة الكرم وسط بين البخل و التبذير وفضيلة الشجاعة هي وسط بين الجبن و التهور و مصدر الفضيلة عنده هو العلم.¹

السياسة و الأخلاق عند أرسطو:

لقد قام أرسطو بالربط بين السياسة و الأخلاق نتيجة تأثره بأفلاطون و سنوضح هذا الأمر من خلال ثلاث نقاط أساسية تتمثل في: (الغائية، الخير الأقصى، علم السياسة الذي يحقق الخير الأقصى).²

فكل سلوك انساني غائي بمعنى أنه يهدف إلى غاية ما و تعتبر هذه الغاية بدورها خيرا، فعلم الطب غايته حفظ الصحة، و بهذا يكون تحقيق الغاية هي الخير الأقصى أو المطلق ، و لا يتحقق هذا الخير الأقصى للإنسان إلا بعلم السياسة ، فعلم السياسة هو علم السعادة و هو أسمى هدف للسلوك البشري.³

* أرسطو: فيلسوف يوناني (384 ق م-322 ق م) تلميذ افلاطون و مؤسس مدرسة ليسيوم و المدرسة المشائية.

¹ أسعد السمراني، الأخلاق في الاسلام و الفلسفة القديمة، المرجع السابق، ص 84.

² وليام ليلي : مقدمة علم الأخلاق ، المرجع السابق ،ص57.

³ إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق و السياسة، دراسة في فلسفة الحكم، المرجع السابق ، ص 175.

ب-الأخلاق في العصور الوسطى (500-1500م):

كانت العصور الوسطى ، على الرغم من شهرتها كعصر مظلم ، إلا أنها تعتبر فترة مهمة حدث فيها نشاط فلسفي كبير، و تم تطوير فلسفة القرون الوسطى بمفردات نظرية تقنية للغاية ، ويرجع ذلك أساساً إلى التقليد الفلسفي السائد ، فلقد ربط المفكرون في تلك المرحلة بين الأخلاق و بين الدين ، كما ذهبوا إلى أنه لا توجد قطيعة بين الأخلاق و بين علم السياسة و قام المفكرون في ذلك الوقت بتوحيد العقيدة الدينية المسيحية مع بعض عناصر الفلاسفة الكلاسيكيين ، مثل حقيقة أن الهدف النهائي للأعمال البشرية هو الحصول على الخير ليكون سعيداً ، وبالتالي ، فإن الهدف النهائي للسلوك البشري هو المحبة ، والتي لا يمكن تحقيقها إلا إذا عاش المرء من الإنجيل، هذا يسمح للإنسان بالوصول إلى رؤية الله بعد الموت ، وهي اللحظة الوحيدة التي يتم فيها تحقيق أقصى قدر من الخير.

و من أهم فلاسفة العصر الوسيط القديس أوغسطين و توما الأكويني.

• الأخلاق عند القديس أوغسطين:

يركز أوغسطين* في كافة تعاليمه وفي شتى مجالات الحياة على ضرورة الفضائل ، فلكي يتخلص الإنسان من الشرور و الآلام و الآثام ، و يتخلص من سجن الجسد عليه التحلي بالفضائل و اجتناب الرذائل ، فيجب بذلك رضا الله و محبته.

الفضائل التي يقصدها القديس أوغسطين هي تلك الفضائل التي نكسبها بالتربية السليمة و التجربة المعيشة استمد القديس أوغسطين هذه النظرة للفضيلة من تجربته في الحياة.

* ولد في 13 نوفمبر 354م بطاجسكا (سوق أهراس حالياً)، و توفي سنة 430م ، و يعتبر القديس اوغسطين من آباء الكنيسة، من مؤلفاته: كتاب الاعتراف.

يعرف القديس أوغسطين الفضيلة: " على أنها كل ما على الإنسان أن يعمل به و السعادة ،هي كل ما يشتهي"، فالسعادة عنده تتعلق بما يطلبه الجسد ، وترتبط بالشهوات و الملذات ، أما الفضيلة فتتعلق بما يقدمه و يعطيه الإنسان لغيره¹.

ويري أوغسطين أن طلب الحكمة يبدأ بالإيمان ، فالإيمان مصدر المعرفة و منبع اليقين ، القائم على سلطة الكتاب المقدس نجد أن القديس أوغسطين مجاله في الأخلاق حيث يرى أن حب الخير هو المبدأ الديناميكي الأساسي لكل الأخلاق².

بمعنى أن المسيحية قد بينت أن الخير هو طاعة القانون و ليس هذا القانون هو ما يكتشفه العقل البشري بل هو الوحي المنزل من السماء ، فيجب علينا الالتزام به لمجرد كونه تعبيراً عن الإرادة الإلهية سواء بدا لنا معقولاً أم غير معقول ، منطقياً أم تعسفياً عادلاً أم ظالماً.

وضع أوغسطين منهجه في المقولة الشهيرة "أعقل كي تؤمن ، وآمن كي تعقل" ، بمعنى العقل أولاً ثم الإيمان ثانياً³ ، بمعنى طلب العلم و المعرفة يبدأ بالإيمان و الإيمان مصدر الحقيقة.

يذكر القديس أوغسطين أربعة فضائل منها : الاعتدال، البر، القوة، و الفضيلة و التي سنوضحها كالاتي:⁴

¹ القديس أوغسطين : مدينة الله ، ترجمة ، الخور أسقف يوحنا العلو ، دار الشرق، بيروت، ج2 ، ط2، 2008 ، ص 193.

² الموسوعة العربية مختارات اجتماع فلسفة و عقائد، ط2 ، منتدى مكتبة الإسكندرية ، ص32 .

³ المرجع نفسه، ص 34.

⁴ فيجل الهاشمي : التأسيس الأخلاقي للحضارة عند القديس أوغسطين، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة ، إشراف مزواد نسبية ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، 2016-2017 ، ص 24.

-فضيلة الاعتدال : الاعتدال هو الفضيلة التي تهتم بكبح الشهوات و الميولات الجسدية فالإنسان عند أوغسطين نوعان : إنسان ارضي آثم قد انغمس في إشباع رغبات الجسد ، و إنسان سماوي قد أحب الله و عرف الحقيقة.

-فضيلة البر: هي الفضيلة التي تعنى بالحب الذي يجعل للإنسان سيذا واحدا وهو الله ، فيكون خادما له بصدق.

-فضيلة القوة : التي تحمل الحب الذي يجعل المرء يتحمل كل العذابات و الآلام في سبيل محبوه .

-فضيلة الفطنة : وهي الفضيلة الرابعة و يقول " الفطنة هي الحب الذي يميز ما يقرب إلى الله وما يبعد عنه الفطنة عند القديس اوغسطين هي اسمي الفضائل من باب التفضيل بين الفضائل الأربع.

• الأخلاق عند توما الاكويني:

لقد اهتم توما الاكويني* بالبحث في القيمة الخلقية في كتابه " الخلاصة اللاهوتية" لبلوغ السعادة القصوى التي لا يمكن بلوغها إلا بتحقيق الفضائل و تجنب الرذائل ، هنا نقول ما مصدر القيمة الخلقية عند توما الاكويني ، هل هو العقل أم الدين أم هما معا ؟

استند توما الاكويني في تحديده لمصدر القيمة الى موقف القديس أوغسطين الذي يرى أن الفضائل تكتسب عن طريق الإيمان ، ذلك أن كل الخيرات تأتي من الله ، و يضيف توما مصدرا آخر لاكتساب الفضائل وهو العقل¹.

* قسيس إيطالي فيلسوف و لاهوتي ولد سنة 1225م قرب قلعة والده الكونت في مملكة لاتسيو اليوم، توفي في 07 مارس 1274 من مؤلفاته: كتاب الخلاصة اللاهوتية.

¹ مجموعة المؤلفين ، إشراف و تحرير سمير بلكيف ، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلي مأزق الإجراء، ط1 ، دار الإيمان ، الرباط ، ، 2013 ، ص 151.

ويؤكد بأن الفعل الأخلاقي قائم على إرادة الاختيار ، هذه الإرادة تختار بطبيعتها الفعل الفاضل الذي يقبله العقل ، و توما الاكوييني هنا مقلدا لأرسطو .

إذ يعرف الفضيلة على أنها العادة المطابقة للعقل المستقيم ، فتوما الاكوييني يعطي للعقل القدرة على التمييز بين الفضائل و الرذائل مثل أرسطو، حيث اعتبر توما الاكوييني العدالة : بأنها أشرف الفضائل ، كما اعتبرها أرسطو سابقا¹.

الحكمة : هي الرأس بين الفضائل العقلية، بحيث تبحث الحكمة في العلة الأولى و هي الله **المحبة :** هنا توما في تحديده لماهية هذه الفضيلة اللاهوتية المحبة لا يعتمد على ارسطو ، وإنما على الكتاب المقدس ، و أن المحبة هي الفضيلة التي تمكن المحب من الاتصال بالمحبيب من خلال الانجذاب العاطفي إليه و الذوبان فيه، وهنا يتبين لنا مدى تأثر توما الاكوييني بالعقيدة المسيحية واعتبرها جوهر العقيدة التي تهدف لبلوغ السعادة القصوى.

إن غاية الفضيلة عند توما الاكوييني هي بلوغ السعادة القصوى التي تتمثل في توجيه النفس نحو الله.

ونستخلص في الأخير أن توما الاكوييني في تأسيسه للقيمة الخلقية أن الفضائل في نظره ترجع كلها إلى فضيلة عليا واحدة ، وهي فضيلة الحب أي حب الله ، أما الفضائل الأخرى ولاسيما الفضائل الأربعة الرئيسية ، حاول أن يرجعها جميعا إلى الفضيلة الرئيسية و هي حب الله كصفات خيرة ، أو عادات للذهن التي يعيش الإنسان بواسطتها حياة سليمة ، وتتشكل العادة الفاضلة بواسطة أفعال خيرة و تشمل إنجاز أفعال تالية للغاية نفسها ، و تعتمد الفضائل الأخلاقية على الوسط ، مثال : يشير إلى أن العفة الكاملة لا تكون فاضلة

¹ فيجل الهاشمي : التأسيس الأخلاقي للحضارة ، المرجع السابق ، ص 27.

إلا عندما تكون مطابقة مع العقل مستنيرة بنور الآلهة قانون الأفعال البشرية و معيارها هو العقل ، فالعقل هو الذي يوجه نشاط الإنسان نحو غايته.¹

ج- الأخلاق في العصر الحديث:

برزت في العصر الحديث العديد من التيارات الفلسفية التي ترى الأخلاق سابقة على العقيدة، بعد قرون من سيادة الفكر الديني في أوروبا، وبدأ اهتمام المفكرين بالمبحث الأخلاقي يأخذ نظرة عقلانية إلى الخير تعتمد على حق الإنسان في الاختيار وحرية المطلقة.

• مذهب المنفعة العامة:

علينا قبل دراسة مذهب المنفعة العامة في الفلسفة الحديثة أن نوضح جذوره الممتدة من أثر مذهب الأبيقوريين اليونان حيث ذهب الفيلسوف اليوناني أرسطبس إلى أن اللذة هي صوت الطبيعة، وأن الغريزة هي المحرك الأول لأفعال الإنسان مثله في ذلك كمثل الحيوان والطفل، وجعل معيار اللذة والألم هي معيار القياس لخيرية الأفعال وشريتها، وقصر اللذة على اللذات البدنية. وجاء بعده ابيقور فاتفق مع سلفه من حيث نشود الناس للذة - مثل الحيوانات -، بدافع الغريزة. ولكنه رأى أنه مع أن اللذة هي الخير الأعظم إلا أن لها أحياناً عواقب قد لا تكون خيراً، فالإفراط في اللذات يؤدي إلى عواقب جسيمة، فنادى بضرورة اجتناب اللذات التي تجر آلاماً؛ لأنها عاتقة لتحقيق السعادة. وعارض أرسطبس الذي اعتبر اللذة مطلقة، إذ فطن إلى نسبة اللذة لأنها تقاس دائماً بالألم المقابل لها، كما أعلى ابيقور من ممكن اللذات الروحية، وأصبحت الأخلاق عنده بمثابة تهذيب اللذات النبيلة: كالصداقة والحكمة وما إلى

¹ حامد عبد الحمزة محمد علي ، النظرية الأخلاقية في فلسفة القديس توما الاكويني ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد الثالث، ايلول، 2016.

ذلك، "ولم يقف أبيقور عند هذا الحد، بل لقد دعا أيضاً إلى التحكم في الدوافع الدنيا واعتبر الفضيلة مظهرًا من مظاهر "ضبط النفس" وتغلب "القيم العليا" على "القيم الدنيا".¹

وفي العصر الحديث، ظهر المذهب النفعي محاولاً التحايل للعودة إلى تقرير مبدأ اللذة، ولكن مع تدخل "الفكر" لتنظيم اللذات لأنها لو تركت لذاتنا وشأنها لتحولت إلى حشد متناقض فوضوي من الملذات وتأثرت بمجال الوعي كله، بينما العالم متناه ويستحيل أن تتحقق فيه سائر اللذات معاً، إن إدخال التفكير أو التدابير أو التحطم على سلسلة اللذات ينتقل بنا إلى مذهب اللذة معدلاً بعبارة أخرى، يريد مذهب المنفعة لنفسه "أن يكون مجرد تصحيح عقلي لفلسفة اللذة". وقد بعث الفلاسفة الفرنسيون في أواخر القرن الثامن عشر تعاليم تشبه تعاليم الأبيقورية. كما تجلت هذه التعاليم في مذهب المنفعة العامة وشغل إنجلترا في القرن التاسع عشر.²

أولاً: النفعية عند بنتام (1748-1832م):

اعتنق بنتام* المذهب النفعي، وأنشأ مجلة الدعوة إلى الإصلاح الدستوري، وكان لدعوته أثرها الكبير في السياسة الإنجليزية.

أما مذهبه في المنفعة فإنه يرى أن الناس بطبائعهم يسعون وراء اللذة ويجتنبون الألم كالحيوانات تماماً مع امتيازهم عن الحيوان باتباعهم لمبدأ النفعية لاستخدامهم للعقل، لأن العقل هو الذي يحكم على الفعل الخير؛ إذ يعود بلذة مستمرة تفوق فيه اللذة على الألم، وبالعكس فإن الفعل الشرير يؤدي إلى زيادة الألم على اللذة، مع استمراره، وهو يقيس اللذات من حيث صفاتها الذاتية كالشدة والمدة والثبات وقرب المنال أو القدرة على إنتاج لذات أخرى

¹ مصطفى علي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، (ب ص).

² توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية: ص 96-97.

* عالم قانون وفيلسوف إنكليزي، ومصلح قانوني واجتماعي، وكان المنظر الرائد في فلسفة القانون الأنجلو-أمريكي.

ويشتهر بدعوته إلى النفعية و حقوق الحيوان، وفكرة سجن بانويتكون

وخلوها من الألم، كما تقاس بالنظر إلى آثارها الاجتماعية كخوف المواطنين من عواقب الجريمة إذ إنها قدوة سيئة وتسبب اضطراباً اجتماعياً، ينبغي على الفرد مراعاتها لأن منفعة المجموع شاملة للمنافع الفردية.¹

ثانياً: الأخلاق عند سبينوزا أنموذجاً:

مذهب سبينوزا* في الأخلاق يتشابه مع مذهب الرواقية في الأخلاق فمثله الأعلى للحكيم وتوكيده ضرورة أن يعرف الإنسان مكانته في الكون و اعتقاده أن المعرفة تحمي الإنسان من اضطراب النفس اتجاه مصائب الحياة و ضربات القدر ، و الحاجة على جعل الحياة تسير بمقتضى العقل ، وطلب الفضائل من أجل الفضائل نفسها ، كل هذه الملامح نجدها في المذهب الأخلاقي الرواقي ، كذلك يشتركان في تقرير الجبرية و إنكار الحرية الإنسانية .²

كتب سبينوزا الرسالة الفلسفية الموسومة بعنوان " علم الأخلاق " الذي يتحدث فيها في الجزء الأول عن العلاقة بين الله و العالم الطبيعي وفقاً للرؤية التقليدية ، فإن الله منفصل عن الكون و خلقه لسبب ما و الله لم يخلق لأي هدف ، وقد تحدث عن الأخلاق باعتبارها نوعاً من فروع الفلسفة ، لكن الكتاب لا يتناول هذا المعنى المعروف لكلمة الأخلاق Ethics إلا في الجزء الأخير من الكتاب ، ونلاحظ أن هذا الكتاب لا يحتوي على مذهب سبينوزا في الأخلاق إلا في نهايته ، أما أغلبه فهو بحث عن الإله وفي الإنسان (طبيعته وطبيعة معرفته)، ويحتل كتاب علم الأخلاق لسبينوزا مكانة مهمة من بين مؤلفاته وقد تحدث في هذا الكتاب عن الله في الباب الأول حيث قال " أعني بعلة ذاته ما تنطوي ماهية على وجوده".³

¹ يوسف كرم، المرجع السابق، ص 332.

* باروخ سبينوزا ولد بامستردام في 24 نوفمبر 1632 في اسرة يهودية و توفي سنة 1677 من مؤلفاته: علم الأخلاق سنة 1674.

² عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة، ج 1، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 1979-1981، ص 143.

³ باروخ سبينوزا : علم الأخلاق ترجمة جلال الدين سعيد مراجعة جورج كتورة ، ط 1، بيروت ، 2009، ص 31

وبعبارة أخرى : ما لا يمكن لطبيعته أن تتصور الا موجودة بمعنى أنه غير منتهي إطلاقاً أي أنه أزلي.

وتكلم أيضاً في الباب الثاني عن طبيعة النفس و أصلها بحيث يرى أن الانسان يتكون من نفس وجسم وأن الجسم البشري موجود كما نحس به، بحيث أن النفس البشرية متحدة بالجسم¹ ، فالأخلاق بالنسبة في كتاب سبينوزا موضوع المقالتين الاخيرتين ، ولكن سبينوزا أطلق هذا الاسم على الكتاب كله ، لان غاية النظر عنده العمل و لان اخلاق كما هو الحال عند الرواقيين².

-الأخلاق عند العرب و الغرب:

• أولاً الأخلاق عند الفارابي و ابن مسكويه أنموذجاً:

يتناول الحديث في الأخلاق لدى المسلمين ثلاثة ميادين:

الأول: ميدان الفلسفة التقليدية التي يعبر عنها أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد الذين اقتصرُوا في أكثر الأحوال على الدراسة النظرية متأثرين بالفلسفة اليونانية، الدخيلة على علوم المسلمين.

الثاني: ميدان علم الكلام، ولا نكاد نعثر فيه على مذهب أخلاقي متكامل شامل لكافة المشاكل الأخلاقية فيما عدا بعض الموضوعات المهمة المتصلة بالأخلاق كقضية الخير والشر والحسن والقبح، والاختيار والجبر.

الثالثة: ميدان الزهد والتصوف وقد احتوى تراثه على كثير من البدع باستثناء أهل القرون الأولى من الزهاد الذين التزموا بالتقيد بالكتاب والسنة، وهؤلاء يمكن اعتبارهم علماء أخلاقيين بمعنى الكلمة.

¹ باروخ سبينوزا، المرجع نفسه، ص 96.

² باروخ سبينوزا، المرجع نفسه، ص 114.

• الأخلاق عند الفارابي (260-339م)

لقد تأثر الفارابي* بفكر أفلاطون في الأخلاق و السياسة، و تأثر بفكر أرسطو في المنطق و الطبيعيات فالأخلاق عند كل من أفلاطون، أرسطو و الفارابي تعتبر فرعا من السياسة، فالأخلاق تعني "دراسة السلوك الفردي المؤدي إلى اكتساب الفضائل و تحصيل السعادة لكل فرد على حدى بينما تعنى السياسة بدراسة كيفية تحصيل السعادة للجميع بأسره، فغاية الأخلاق و السياسة اذن واحدة"¹.

و يؤكد الفارابي أن الأخلاق هي عبارة عن قيم راسخة في النفس تتم عنها الأفعال ، و قد تكون محمودة أو مذمومة، إلا أنه عندما لا تتوفر لدى الانسان قيم و سلوكات و أخلاق محمودة بإمكانه أن يكتسبها بالتدريب و العادة حتى تصبح أخلاقا فاضلة².

الفضائل الأخلاقية عند الفارابي:

للفارابي مؤلف يتكلم فيه عن موضوع الأخلاق عنوانه: "تحصيل السعادة" يؤكد فيه أن الغاية من الأخلاق هي تحصيل السعادة، فالأشياء الانسانية إذا حصلت في الأمم حصلت لهم السعادة في الحياة الدنيا و السعادة القصوى في الحياة الأخرى، و من هذه الأشياء هي الفضائل بالنسبة إلى الفارابي أربعة هي³:

-**الفضائل النظرية** : وهي العلوم التي يكون الغرض منها حصول الموجودات في الذهن معقولة ببراھين يقينية و طرق إقناعية ، و هذه العلوم منها ما يحصل للإنسان منذ أول مرة

* هو أبو نصر محمد بن صرخان بن ازولغ الفارابي نسبة الى مدينة فاراب ولد عام 257م وحكم حياته متصوفا، توفي في دمشق عام 339م، من أهم مؤلفاته: احصاء العلوم، آراء المدينة الفاضلة.

¹ موزه أحمد راشد العباد: القيم الأخلاقية بين الفكرين الاسلامي و الغربي في عصر العولمة، ط1، الدار العالمية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2008، ص 141.

² مراد وهبة : المعجم الفلسفي، (د.ط)، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 34.

³ ابي نصر الفارابي :تحصيل السعادة قدم له وعلق عليه وشرحه الدكتور علي بوملحم، ط1 ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ، 1995، ص 26.

من حيث لا يشعر ولا يدري كيف ومن اين حصلت ، ومنها ما يحصل بتأمل و عن فحص و استنباط وعن تعليم و تعلم.

-**الفضائل الفكرية** : وتتمثل هذه الفضيلة في القوة ، التي يتمكن بها الإنسان من استنباط ما هو انفع في غاية ما فاضلة لطائفة أهل المدينة أو أهل المنزل و القدرة على سن القواعد و القوانين التي يجب إتباعها.

-**الفضائل الأخلاقية** : هي التي يتوخى بها الإنسان فعل الخير، وتوحي أفعالها متوقف على استعمال غيرها من الفضائل، فكل فضيلة خلقية لا بد لها من فضيلة فكرية، سابقة لها توجهها وكلما اكتملت الفضائل الفكرية كانت الفضائل الخلقية المرتبطة بها أشد وأقوى .

-**فضائل (الصناعات) العملية** : هي التي يراد بها اكتساب الفنون العملية المعروفة و جميع هذه الفضائل إنما سبيلها أن تحصل بالطبع و هم ذو الفطرة الفائقة و الطباع العظيمة و تحصيلها يكون بطريقتين بالتعليم أولاً و هو إيجاد الفضائل النظرية في الامم و المدن وبالتأديب ثانياً : هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية و الصناعات العملية في الامم ، و الفرق بين الطريقتين، هو أن التعليم كما يرى الفارابي يكون بالقول وحده أما التأديب فيجمع بين القول و العمل¹ .

ولهذا فإن الفضائل عند الفارابي ماهي الا وسائل للحصول على السعادة وهي ليست خيارات بذاتها و إنما هي خيارات لأنها توصل إلى السعادة.

- **الأخلاق عند ابن مسكويه (320-421م):**

يعتبر ابن مسكويه* من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين كان لهم الفضل الكبير في المساهمة في تحليل الفكر الأخلاقي الإسلامي ، بل أنه يوصف بأنه اكبر باحث عربي في الأخلاق ،

¹ جلول خدة معمر، المرجع السابق، ص 34.

*ولد بالري سنة 325هـ و مات في أصفهان، من مؤلفاته: تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق.

و تعد فلسفته الأخلاقية عبارة عن مزيج من آراء أفلاطون و أرسطو ، وجالينوس ، فضلا عن الشريعة الإسلامية و تجاربه الشخصية.

ألف مسكويه في الأخلاق كتاب اسمه " تهذيب الأخلاق " ، ويعتبر أكمل دراسة علمية في هذا المجال و قد وضع مسكويه كتابه ليوضح فيه كيفية الوصول إلى السلوك المستقيم وحقيقة المسألة أن مسكويه يعرف الخلق بقوله " انه حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ". إذ يقول كل خلق يمكن تغييره ، حيث يؤكد مسكويه انه إمكانية تبدل الخلق ، بحيث أن الأخلاق بالنسبة إليه تكتسب و تصقل الهدف من الأخلاق هو صلاح الإنسان و سعادته¹.

إن الأخلاق عند مسكويه ليست أخلاقا نظرية كأخلاق اليونان فقط ، تكتفي بالتعريف الكلي للفضيلة و لكنها تسعى إلى العلم التام بكافة الموجودات و بخالق الكون و بهذا جعل مسكويه للدين اثر الكبير في تقويم الأخلاق و الوصول إلى تحقيق السعادة.

ويقرر مسكويه أن السعادة ليست في المتع و اللذات الحسية، لان من رضي لنفسه لتحصيل اللذات البدنية و جعلها غايته و أقصى سعادته ، فقد رضي باخس العبودية لأخس الموالي لأنه يصير نفسه الكريمة التي يناسب بها الملائكة عبدا للنفس الدنيئة التي يناسب بها الخنازير و الديدان...، وعليه فإن مسكويه ينظر إلى اللذات و المتع الحسية نظرة سلبية تحط من شأن الإنسان² .

نستخلص أن الحكمة هي السعادة و الحكيم هو السعيد لأنه الأقدر على النظر في الموجودات القريبة و البعيدة الضابط لحركة النفس.

¹ أبي نصر الفارابي، المرجع نفسه، ص 35.

² ابن مسكويه دراسة تحقيق عماد الهلالي: تهذيب الاخلاق و تطهير الأعراق، ط1، 1426، ص51 .

ومن هنا يمكن أن نفهم مسكويه يوجه نقدا لاذعا لأصحاب اللذة ، وقد يكون كلامه هذا موجها لشريحة اجتماعية واسعة في عصره، وهم الذين لا هم سوى البحث عن المتع و الشهوات الحسية وبعد ان تعرفنا على الأخلاق عند كل من الفارابي و مسكويه و تبين لنا أنهم قد تأثر بآراء غيرهم من الفلاسفة اليونانيين و خاصة أفلاطون و أرسطو ، إلا أنهم قد أضافوا إلى هذه الآراء الكثير من الأبعاد الدينية الإسلامية.¹

فضائل النفس:

تتألف النفس من وجهة نظر مسكويه من ثلاث قوى : القوى العاقلة وهي " التي بها يكون الفكر و التميز و النظر في حقائق الأمور".

و القوة الغضبية : " و التي بها يكون الغضب و الجدة والإقدام على الأموال ، و الشوق إلى التسلط".

و القوة الشهوانية وهي " التي بها يكون الشهوة وطلب الغذاء و الشوق إلى الملاذ التي في المآكل و المشارب والمناكح والقوى الناطقة هي " التي تسمى الملكية وألتها التي تستعملها من البدن الدماغ التي موضعها الرأس و فضيلتها التفكير و الحكمة".

والقوة الشهوانية هي " تسمى بالبهيمية وألتها التي تستعملها من البدن هي الكبد أو البطن و فضيلتها العفة".

والقوة الغضبية و هي " التي تسمى السبعية و ألتها التي تستعملها من البدن هي القلب و فضيلتها الشجاعة² .

فلذلك وجب أن يكون عدد الفضائل بحسب عدد هذه القوى و يجب أن تخضع القوتان الأخيرتان للقوى الأولى العاقلة باعتبار أن فضيلتها اسمي عن غيرها ، اي عندما يكون

¹ جلول خدة معمر، المرجع السابق، ص 41.

² ابن مسكويه : دراسة و تنسيق عماد الهاللي : تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق ، المرجع السابق ، ص 7 .

الجانب العاقل من النفس معتدلاً وكان يتشوق إلى المعرفة الصحيحة التي هي غرضها الحقيقي تنشأ فيها فضيلة العلم أو الحكمة ،ومتى كانت القوة الشهوانية معتدلة منقادة للنفس العاقلة ، تنشأ فضيلة العفة و تتبعها صفة السخاء ومتى كانت تخضع القوة الغضبية للقوة العاقلة ، تنشأ فضيلة الحلم و تتبعها الشجاعة ، ومن اتحاد هذه الفضائل الثلاث تنشأ فضيلة رابعة هي كمالها وتمامها من حيث اعتدالها ، وهي فضيلة العدالة ، التي تعتبر في الأخير هي نتيجة الاتحاد و الانسجام و الاعتدال أو التوسط بين القوى الثلاث وعليه فان مسكويه يعدد أربعة أجناس للفضائل وهي:

الحكمة، العفة، الشجاعة، و العدالة، وما أصدادها المقابلة لها فهي أربع: الجهل، والشه، الجبن، الجور.¹

نظرية السعادة عند مسكويه:

مفهوم السعادة عند ابن مسكويه ، قال ابن مسكويه " إن السعادة أفضل خير و هي تمام الخيرات و غايتها ولكنها تحتاج في مرتبتها الأولى من هذا التمام إلى أشياء في البدن و خارج البدن " ويرى ان السعادة جسمية و نفسية في الوقت نفسه ، لان طبيعة الإنسانية ذات نفسية تعكس الفضيلة و الروحانية فالسعادة الدنيوية في نظره ناقصة لانطلاقها من عالم الحس ، فلا بد من تعرض صاحبها للألم و الحسرات فمثلا حتى نشعر بلذة الطعام لا بد من ان نشعر بالجوع ، وحتى نشعر بسعادة المال لا بد من العمل بتعب حتي تحصيله و السعادة الأخروية هي الأفضل والأكمل ، لأن صاحبها يتمتع بالخير فهو مقيم بروحه الداخلية بالقرب من الملائكة الأعلى ، حيث يستتير بنور الإله القادر ، لذلك فالفرد يكون بعيدا عن الألم و الحسرات الدنيوية التي تشقيه فالأخلاق هي غاية السعادة ، فلا بد من تهذيب الخلق و تقويمه للوصول إليها و البحث عن السبيل للمحافظة عن الأخلاق السليمة وما يمكن أن نستخلصه من مذهب مسكويه الأخلاقي أنه مذهب اجتماعي ، لأنه دعا لان

¹ ابن مسكويه، المرجع نفسه، ص 07.

يعيش المرء في جماعة لا منفرد وحده ولا بد من تعاون كثيرين على تحصيل الخيارات ، فالغاية من الشعائر الدينية كالصلاة مثلا ، غرس الفضائل في نفوس الناس.

إن الأخلاق عند مسكويه تتميز في كتابه "التهذيب" بطابع المعقولية المتمثلة في قابليتها لان تصير علما وامكانية حصولها في الإنسان، ومن هنا تبرز الواقعية التي تجعل من السلوك الإنساني فعلا يلائم حاجياته الطبيعية، وترسم له منهجية واضحة في تهذيب كل إفراط يربح كفه ممارسة معينة ويحقق له السلوك الإنساني ، الاعتدال ثم العلمية التي تعكس الإطار المعرفي الذي تتخرط فيه الأخلاق.¹

• ثانيا: الأخلاق عند الغرب ديكارت و كانط أنموذجا:

- الأخلاق عند رينيه ديكارت (1596-1650م):

جعل ديكارت * علم الأخلاق رأس الحكمة، و تاج العلوم، و أنه لا بد من الاطلاع على كل العلوم قبل الخوض في علم الأخلاق و قال: " مثل الفلسفة كمثل شجرة جذورها الميتافيزيقا، و جذعها العلم الطبيعية و أعضائها بقية العلوم، وهذه ترجع لثلاثة علوم كبرى هي : الطب، الميكانيكا، و الأخلاق العليا الكاملة و هذه الأخيرة تتطلب معرفة تامة بالعلوم الأخرى، و هي أعلى مراتب الحكمة"².

- و من العجيب أن مذهب الشك الديكارتى لم يصل بديكارت الى الإلحاد، بل لقد كان مؤمنا بوجود الإله و دعا الى ضرورة التخلص من كل الآراء القديمة التي توصل على أنها موضع الشك بغض النظر عن الدين و قال: " اننا اذا شئنا تجديد المسكن الذي نقيم فيه وجب عليه

¹ ابراهيم ونزار : مكانة الإنسان في الفلسفة الأخلاقية العربية قراءة في الفكر الأخلاقي لأبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (325-421هـ) ، مجلة مؤمن بلا حدود ، ص 19 ..

* ولد في لاهاي سنة 1596 وتوفي في السويد عام 1650م ومن مؤلفاته: المقال على المنهج.

² السيد محمد عقيل بن علي المهدي: المنهج الفلسفي عند الغزالي و ديكارت للوصول الى الحقيقة، ط2، دار الحديث، القاهرة، ص 192.

قبل هدمه ايجاد منزل آخر نؤوي إليه أثناء إليه العمل في المسكن ، و كذلك لما كانت السعادة و النجاح في الحياة العملية".¹

ومن هنا فإن أخلاق ديكارت تتلخص في ثلاث قواعد هي:

الأولى: طاعة الانسان لقوانين بلاده، و احترام عاداتها مع الثبات على الديانة.

الثانية: أن يكون ثابتا في أعماله على أكبر قدر ممكن، و اجتنابه للشك .

الثالثة: الاجتهاد في مغالبة و مواجهة نفسه و السيطرة على رغباته و شهواته.

فالأخلاق الديكارتية في صميمها أخلاق عقلية، و قد بين ديكارت ذلك في رسالته إلى الأميرة "إليزابيت" أن العقل وحده لا يكفي لإقامة صرح الأخلاق ، و الأخلاق لن تجد تتمتها إلا في الدين، و عاد ديكارت إلى المنبع الأصيل للحياة و يتمثل هذا المصدر في الدين. فالمستقبل لا يعلمه إلا الله، و بالتالي فأقذارنا مكتوبة فلنعش بهدوء.²

-الأخلاق عند ايمانويل كانط (1724-1804):

يعتبر مشروع الأخلاق عند كانط* من أهم المشاريع الأخلاقية ، و قد ألف في هذا المجال الأخلاقي ثلاث كتب أساسية هي ميتافيزيقيا الأخلاق، تأسيس ميتافيزيق الأخلاق و نقد العقل العلمي.

وقد افتتح مشروعه هذا عن معيار القيم الأخلاقية بما يجب أن تكون و في هذا يقول: "لا يوجد شيء يمكن عده خيرا على وجه الاطلاق و دون قيد، اللهم إلا شيء واحد هو الارادة

¹ رينيه ديكارت، مقال عن المنهج لأحكام قيادة العقل و للبحث عن الحقيقة في العلوم، ترجمه و شرحه: محمود الحضري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة ، 1930، ص 65.

² ابراهيم مصطفى ابراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم (د.ط)، دار و فاء للطباعة و النشر، الاسكندرية، 2001، ص 115.

*فيلسوف ألماني ولد عام 1724م في مملكة بروسيا و توفي عام 1804م، من مؤلفاته: نقد العقل المجرد، نقد العقل العلمي.

الخيرة"¹، و يقصد بها النية الحسنة أو الطيبة لأنها لا تقاس بما تحققه لنا من خيارات كثيرة و إنما تقاس بقدر نيتها الخالصة.

و يرى أن الفعل الأخلاقي ليس هو الفعل المشروط بغاية في حد ذاتها، و إنما هو الفعل المطلق الذي لا يرتبط بأي وسيلة و لا بأي غاية و من هنا نجد أن كانط يحدد عدة قواعد أساسية للأخلاق تحكمها أوامر مطلقة منها ما يلي:

القاعدة (1): " افعل كما لو كانت قاعدة فعملك قانونا عاما للطبيعة "².

القاعدة (2): "افعل بحيث تعامل الانسانية، على أنها غاية و ليس مجرد وسيلة"³.

ومن المسائل التي بحث فيها كذلك نجد مسألة السلام العالمي حيث خصص لها كتابا يحمل عنوان (نحو مشروع سلام دائم) و هو كتاب يوضح لنا علاقة الأخلاق بالسياسة حيث أقر فيه خطة يتم من خلالها احلال سلام يشمل الأرض بكاملها.

المبحث الثالث: مدخل إلى المشروع الاخلاقي لطفه عبد الرحمان:

السيرة الذاتية لطفه عبد الرحمن:

طفه عبد الرحمان مفكر مغربي معاصر، ولد بمدينة الجديدة، جنوب الرباط سنة 1944 م ، بها تلقى دراسته الابتدائية، ثم تابع دراسته الاعدادية بمدينة الدار البيضاء، ثم دراسته الجامعية بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط، حيث نال إجازة في الفلسفة، و استكمل دراسته الجامعية العليا بجامعة السوربون بفرنسا، حيث حصل فيها على إجازة ثانية في الفلسفة، و دكتوراه السلك الثالث عام 1972م برسالة في موضوع "اللغة و الفلسفة"، رسالة

¹ ايمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر عبد الغفار مكاوي و مراجعة عبد الرحمان بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص 37.

² عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 283.

³ المرجع نفسه، 284.

في البنيات اللغوية لمبحث الوجود، ثم دكتوراه الدولة عام 1985م عن أطروحته " رسالة في الاستدلال الحجاجي و الطبيعي و نماذجه"، درس المنطقي في جامعة محمد الخامس بالرباط منذ بداية السبعينيات ، حصل على جائزة المغرب للكتاب مرتين، ثم جائزة الاسيسكو في الفكر الاسلامي و الفلسفة عام 2006م.

- منهجه:

تتميز ممارسته الفلسفية بالجمع بين التحليل المنطقي والتشويق اللغوي والإرتكاز إلى إمدادات التجربة الصوفية وذلك في إطار العمل على تقديم مفاهيم متصلة بالتراث الإسلامي ومستتدة إلى أهم المكتسبات الفكر الغربي المعاصر على مستوى نظريات الخطاب والمنطق الحجاجي وفلسفة الأخلاق.

الأمر الذي جعله يأتي بطريقة في التفلسف يغلب عليها التوجه التداولي والأخلاقي في كتابه " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" الذي كشف فيه طه عن وضعية تدريس المنطق في الجامعة المغربية في مطلع السبعينات من القرن 20 وما بذله من جهد في ترسيخ تدريس المنطق الحديث في الجامعة المغربية إذ كان له الفضل في إحداث منعطف جديد في تدريس هذه المادة. بنقلها من المنطق القديم إلى المنطق الحديث . وكان راغبا في إصلاح التعليم الفلسفي.

لقد أحدث طه انقلابا منهجيا في الفكر العربي الحديث بناء على منجزات الثورة المنطقية واللغوية في العالم المعاصر ، بإبداعه لكتابة منطقية أصيلة تربط المضامين الفكرية بآلياتها. وبهذا كان طه ظاهرة منهجية في هذا العصر وكان أحد كبار المناطقة في الفكر العربي الحديث¹

¹ دالي زهية: المشروع الفلسفي لطفه عبد الرحمن، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 16 جوان 2016.

يعتمد الدكتور طه عبد الرحمن بشكل أساسي على المنطق السوري في معالجة الموضوع وهذا بطبيعة الحال نتيجة لكونه أحد كبار المناطق في الفكر العربي المعاصر.

أهم مؤلفاته:

طه عبد الرحمن له عدة مؤلفات و دراسات في المنطقيات و الفلسفيات واللسانيات و الإسلاميات باللغات الثلاث : العربية و الفرنسية و الانجليزية.

ومن كتبه في مناهج المنطق:

• المنطق و النحو السوري 1983 .

• في اصول الحوار و تجديد علم الكلام 1987 .

• تجديد المنهج وتقويم التراث 1994 .

• اللسان و الميزان 1998 .

• حوارات من أجل المستقبل.

ومن كتبه في فلسفة اللغة:

• اللغة و الفلسفة بالفرنسية (langage et philosophie) 1977.

• فقه اللغة الفلسفية، الجزء الأول : الفلسفة و الترجمة 1995 .

• فقه الفلسفة ، الجزء الثاني : القول الفلسفي ، كتاب المفهوم و التأثيل.

ومن كتبه في فلسفة الأخلاق:

• العمل الديني و تجديد العقل 1989 .

• سؤال الأخلاق ، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية 2000 .

فلسفته:

من الفلسفة المجردة من العمل إلى الفلسفة المسددة بالأخلاق شاع بين المختصين و جمهور القراء على التصور بأن الفلسفة معرفة كلية و تجريدية و برهانية إلا أن طه عبد الرحمان يؤكد أنه لا وجود لفلسفة برهانية مما جعله ينادي بضرورة إعادة النظر في التصور التقليدي للفلسفة ، وبناء تصور جديد قائم على مبدأ التعدد و الاختلاف ، ومن هنا قوله الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، والحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، إذ يرى أن الحضارة الأوروبية الغربية التي تعيش _ في رأيه أزمة صدق ناتجة عن فصل العلم عن الأخلاق ، وأزمة القصد ناتجة عن فصل العقل عن الغيب.

العالم الإسلامي عندما تلقى الفلسفة سماها الحكمة، الحكمة مشروطة أساسا بالعمل إذ كانت أحد تعريفات الفلسفة عند العرب قديما هي " أنها كمال العلم لكمال العمل".

بمعني أن الفلسفة مرتبطة بالجانب العملي ، والحكمة يرى طه عبد الرحمان أنها مفهوم راسخ في المصادر الأولى للتراث الإسلامي العربي.

العمل هنا هو جملة السلوكيات و التصرفات تحتل إن توصف إما بالحسن أو بالقبح ، أي بالخير أو بالشر ومن هنا يكون دخولها في باب الأخلاق إلا أن المدرسة الرواقية كان تصورهما للفلسفة تصورا عمليا ونحتاج هنا إلى إنشاء فلسفة تكون قادرة على التصدي للعقبات ، و الإشكاليات التي لا يكون حلها بواسطة الفكر المجرد وحده بل لا بد من فكر تطبيقي¹.

نجد أن الأخلاق تشمل جميع أفعال الإنسان ، كائنة ما كانت ، إن التصرفات التي لا تعد أخلاقية ليست بالضرورة تصرفات لا عقلانية ، بل توصف بكونها تصرفات لا إنسانية ، نستخلص أن طه عبد الرحمان يؤكد على أن الأديان والشرائع السماوية تكمل بعضها البعض ، وأن لكل دين زمنا خلقيا خاصا به يفضل الزمن الخلفي للدين الذي سبقه ، وذلك

¹ طه عبد الرحمان : الحوار أفقا للفكر ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، ط1 ، 2003، ص ص 35-55.

لإثباته بصفات وفضائل و معان جديدة يضيفها إلي ما سبق فكلما كان هناك تراكما معرفيا فهناك كذلك تراكم ديني، وحقيقة أنه تراكم أخلاقي و قيمي و روعي مما جعل الأخلاق الإسلامية أكمل قيمة و أكثر حركية¹.

وتمثل التجربة الروحية في حياة الدكتور طه عبد الرحمان منعطفًا ذا أهمية قصوى ، أدى إلى إحداث تغيير جذري في أفكاره الفلسفية و الأخلاقية على السواء ، فساهمت التجربة الصوفية في توسيع مداركه و انفتاح الكون أمام ذهنه بشكل أكبر فأسهمت هذه التجربة الصوفية في توسيع مداركه و فك القيود عن فهمه و كشفت له فضل التجربة الحية على العمل المجرد ، كفضل العمل على النظر المجرد وانطلاقًا من هذا الأساس ، نرى مدى تلازم و ترابط التصور الأخلاقي لطه عبد الرحمان بتجربته الروحية التي لا تتعارض عنده أبداً مع المعرفة العقلية بل هي في نظره تفعل في المعرفة الفعلية و تكون سببًا من أسباب إثراء هذه المعرفة و التغلغل فيها، أضعاف ما تفعله التجربة الحسية فيها، التجربة الروحية ليست الا الدخول في تجربة حية التي تبلغ القوة للإنسان و أن الحب الصوفي هو يعتبر مناط التجربة كلها و لتصفية الإنسان لنفسه حتى يضحى كائنًا أخلاقيًا كاملاً وراقياً.

وهذا ما دفع طه عبد الرحمان بعد خوضه لغمار التجربة العرفانية ، ومعاناته لدقائقها ، أن يخرج منها معلنا على الملأ أن الأخلاق هي التي تحدد ماهية الإنسان.²

¹ طه عبد الرحمان ، المصدر السابق ، ص ص 58-62 .

² محمد أحمد الصغير: خصائص التجربة العقلية و الصوفية من منظور طه عبد الرحمان ، مجلة مؤمنون بلا حدود ، العدد، 2مايو، 2014 .

الفصل الثاني

الأخلاق و علاقتها بالعقل عند طه عبد الرحمان

تمهيد:

إن المتأمل لتشکل مفهوم العقل في فکر الفيلسوف طه عبد الرحمان يخرج بملاحظة بالغة الأهمية ، وهي ان المفکر سعی جاهدا في نحت هذا المفهوم ضد أعماله الفلسفية الأولى انطلاقا من مسألتين هما مسألة اليقظة الدينية ، ثم مسألة التجديد في الفكر الاسلامي الذي أصبح ضرورة ملحة .

هاتين المسألتين السابقتين أصبحتا بمثابة أهداف للفيلسوف طه عبد الرحمان ، لا تتحقق إلا بعقلانية متجددة مبنية على أسس أخلاقية من جهة وملتصدة بالمناهج العقلية من جهة أخرى وللوقوف على مسألة علاقة العقل بالأخلاق في فکر طه عبد الرحمان ارتأينا طرح الإشكالية التالية :

ما علاقة الأخلاق بالعقل عند طه عبد الرحمان ؟ وماهي معالم تجديد النظر في مفهوم العقل عنده ؟ وماهي مراتب العقل عند طه عبد الرحمان ؟

المبحث الأول : العقل الأخلاقي الإسلامي من منظور طه عبد الرحمن

يعتبر مفهوم العقل من جملة المفاهيم التي شغل بال العديد من الفلاسفة ومفكري العرب والمسلمين ، ومن أبرز الفلاسفة نجد طه عبد الرحمن الذي يصنف العقل لعدة مراتب حيث اقترح مفهومًا له انطلاقًا من نقده للعقل الغربي : فما هو هذا المفهوم ؟ وماهي مراتب العقل عنده ؟

1- مفهوم العقل في فلسفة طه عبد الرحمن :

في هذا الصدد نلمس ان نظرة طه عبد الرحمن لمفهوم العقل حالة جديدة . اذ أعاد تشكيل هذا المفهوم بطريقة لا تطابق التصور القديم ، حيث يرى أن العقل ليس جوهرًا قائمًا بذاته ، بل هو فعل من الافعال اي انه مرتبط بالقلب ، وما يفهم من هذا القول أن العقل عنده ليس ذلك العقل المجرد المرتبط بالأفعال بمعنى انه مرتبط بالممارسة فقط فالعقل هو عبارة عن فعل ادراكي داخلي يصدر عن قلب الانسان وان يكون مقترنا بالقصد¹ أي يعي ما يصل إليه من مدركات كما يعي الإناء ما يوضع فيه ، وعليه يكون العقل هو إدراك الإنسان للارتباط الموجود بين شيئين فأكثر ، اي العلاقة بينهما² .

وقد أكد طه عبد الرحمن في كتابه "سؤال العمل" ثمانية إشكاليات دخلت على مفهوم العقل وهي :

- ✓ إشكالية الترادف بين العقل والنطق .
- ✓ إشكالية تعريف العقل بالجواهر .
- ✓ إشكالية الفصل بين العقل والقلب .
- ✓ إشكالية الفصل بين العقل والخلق .

¹ طه عبد الرحمن :سؤال الاخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية ، ط3 المغرب ، المركز الثقافي العربي، ص 63 .

² طه عبد الرحمن : سؤال العمل . بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم ، ط1 . المغرب 2012 . ص 63

✓ إشكالية الفصل بين العقل والوحي .

✓ إشكالية الفصل بين العقل والإيمان .

كل هذه الإشكاليات التي طرأت على مفهوم العقل أدت الى التغيير في مفهومه والسبب في ذلك كثرة الغلة في التجريد والخلو عن العمل ، لذلك حاول طه عبد الرحمان إعطاء تصور جديد للعقل يكون مفهومه مخالفا لما سبق ، وذلك عن طريق الرجوع الى المعنى العملي للمفهوم في اللسان العربي والرجوع الى معنى العقل الاصطلاحي العملي في النص الديني ، ولا يكون هذا إلا بتكسير طوق العقل من أجل طلب التأييد و التسديد لهذا العقل وذلك بالاستعانة بقوة ليست من جنس قوته لتحصيل العينة الالهية¹.

فتكسير طوق العقل لا يكون إلا على فعل العبودية والسجود ، وكما هو معلوم ان العبادة هي همزة وصل بين النظر والفعل لقوله تعالى : "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"².

-اذن المفهوم الجديد الذي صاغه طه عبد الرحمان يرتبط بالتصور الاخلاقي الاسلامي وليس على تصور يوناني ، وبهذا أراد تأسيس المفهوم الفعلي للعقل ويتضح ذلك من خلال أن :

1- أن العقل يدخل في باقي الأفعال الإنسانية ، فمثلا : المبصر يبصر وهو يعقل في بصره ، والسامع يسمع في سمعه والعامل يعمل وهو يعقل في عمله .

2- أن العقل قد يحسن و يقبح كما تحسن الافعال.³

¹ خالد حاجي : من مضايق الحداثة الى فضاء الابداع الاسلامي والعربي ، ط1 ، المغرب ، المركز الثقافي العربي
ظن 2005 ، ص 167 .

² سورة الذاريات : الاية 56 .

³ طه عبد الرحمان : سؤال العمل ، مصدر سابق ، ص 59.

وعليه فإن دواعي طه عبد الرحمان تتعدى المستوى النقدي للعقل الى المستوى البنائي والتأسيسي ، أي محاولة إعطاء مفهوم جديد للعقل والعقلانية ، إذ ينبغي أن يكون التجديد تجديد جذري للعقل الإسلامي .

2- عوائق إبداع العقل الإسلامي :

لن يتحقق طموح الإبداع في الفلسفة العربية إلا إذا أنصت الفيلسوف العربي الى دقات قلب مجاله التداولي الخاص ، فينشئ فلسفة متميزة و معبرة بصدق عن القضايا والإشكالات السائدة في حقل الثقافة العربية وحاملة للقيم والحقائق التي تختلج في وجدان وعقل الانسان العربي والمسلم ، وقد تصبح مهمة صعبة إن لم يع العقل الاسلامي حقيقة العوائق التي تواجهه التي تقلل من فاعليته وتصيبه بالعقم والركود ، ولهذا السبب نجد طه عبد الرحمان لم يقلل بعالمية الفلسفة ومن ثم يرفض فكرة الفضاء الفلسفي العالمي ومن هذا يمكن أن نسأل:

- ماهي عوائق إبداع العقل الإسلامي ؟ وكيف يمكن تجاوزها لتأسيس فلسفة قومية خاصة ؟

يجيبنا طه عبد الرحمان بأن من عوائق ابداع العقل الاسلامي دعوى كونية الفلسفة ، تلك الكونية التي لا تعترف بأي طابع قومي للفلسفة والتي تهدف لإذابة الفروقات والخصوصيات بغية طرح نمط فلسفي واحد يمهد للهيمنة الاقتصادية والسياسية ، فإذا قيدا الفلسفة الكونية فالمقصود (أن قضاياها ومصالحها تعم أقطار الارض جميعا ، بحيث تكون الكونية ذات صبغة جغرافية او سياسية نظرا لاقترانها بالنفوذ والسلطة وإن سلمنا بالاعتقاد بكونية الفلسفة في صورتها الكلية او السياسية اي ان الفلسفة عالمية فلا بد من العمل كذلك على إثبات صبغتها القومية)¹.

- أما الاعتراضات العامة ، فقد انطلق طه عبد الرحمان من ارتباط الفلسفة بالسياقات التاريخية والاجتماعية كانت ولا تزال تخوض في اشكالات يملها واقع معين ، يجتاز ظروف تاريخية واجتماعية مخصوصة ، وما دامت الفلسفة غير متعالية عن الواقع والتاريخ ، بل

¹ طه عبد الرحمان : الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، ط1،الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي 2008، ص 52

هي نفسها إفران لواقع يحمل خصوصيات سوسيو ثقافية محددة ، من هنا كان لابد من الإقرار بقومية الفلسفة ، يقول طه عبد الرحمان : " لابد ان تحمل فلسفة الامة الواحدة الخصوصية التاريخية والاجتماعية لهذه الامة كما تحمل فلسفة الفرد الواحد خصوصية ظرفه التاريخي ووضعه الاجتماعي " ¹

- كما أن الفلسفة هي مضمون مصاغ في قالب لغوي ، وهكذا فهي حتما متأثرة (مهما حاولت ان تتجرد) بالأساليب اللغوية والادبية للسان على كل أمة ، وهذا ما يفسر عسر الترجمة عادة من لغة الى لغة اخرى والاخلال بشرط تبليغ دلالة النص كما هي لغتها ، إذ يقول فيلسوفنا في كتابه : (الحق العربي في الاختلاف الفلسفي):"معلوم ان اللغة المحل الذي يتشكل فيه القول الفلسفي ولا تشكل لهذا القول بغير تأثره بمحله اللغوي ، ولما كانت الألسن التي وضع بها القول الفلسفي متعددة ، جاز أن تختلف المضامين الفلسفية باختلاف الألسن التي تنقلها " ²

- ومن هنا يرى طه عبد الرحمان ان اللغة والبيان يؤثران تأثيرا كبيرا في المضمون الفلسفي الذي يجعل الفلسفة فلسفة قومية خالصة ، تسعى الى تحرير القول الفلسفي من التبعية والتقليد لإقامة فلسفة عربية تضاهي الفلسفات الاخرى وهذا من خلال ركيزتين هما : الهدم والبناء .

وللخروج من التقليد الاعمى يقدم لنا طه عبد الرحمان أول دليل لإثبات ميلاد فلسفة عربية إسلامية قومية لها مفاهيم خاصة بها هو انه اعترف بمبدأ الاختلاف في الفكر الفلسفي وأن لكل فلسفة واقعها الخاص بها حيث يقول " أن قيمة الاختلاف الفلسفي بين الاقوام يبني هذه

¹ المصدر نفسه ، ص 35 .

² طه عبد الرحمان : الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، المصدر السابق ، ص 53

الجماعة لا بواسطة تسلط فلسفة قوم واحد على الاقوام الاخرى وانما بواسطة مساهمة كل قوم بمنظور فلسفي خاص يضاف الى غيره من المنظورات الاقوام الاخرى¹

3- نقد العقل الغربي عند طه عبد الرحمان :

إن محاولة طه عبد الرحمان في نقد العقل الغربي محاولة جريئة من نوعها ، سلك فيها مسلكا جديدا لم يسبق اليها أحد ، فلقد بنى نقده للعقل الغربي على منهج ابتكره ، مفاده ان أي عقلانية لا بد أن تستوفي ثلاثة معايير : معيار الفاعلية ، معيار التقديم ، معيار التكامل . ولهذا فإن طه عبد الرحمان يرى أن العقل الغربي يخل إخلالا عظيما بهذه المعايير ، لذلك اعتبر مبدأ العقلانية او التجريد كما يسميها مبدأ مخالف لمبدأ الايمان بالرسالة الإسلامية بدليل أن الإنسان الغربي يجعل من العقل مبدأ مرجعي لإصدار أحكامه ، في الحين المسلم يتبع الوحي او الرسالة كمبدأ في حكمه أو تصرفاته إلى جانب .

- وفي هذا الصدد نجد طه عبد الرحمان يقول : "فخاصية هذه العقلانية أنها تستأثر بالإنسان من دون الوحي ، و بالتالي فهي تتنافى مع الرسالة الدينية والعقلانية بهذه الصورة أسميها (العقلانية المجددة) بتجريديتها تتمثل في الاشتغال بالعقل الإنساني دون الاشتغال بالوحي الإلهي"²

ومن هذا تبين أن هوية الانسان تتمثل في هوية الاصل الأخلاقي لان الاخلاق هي التي تميزه عن الحيوان .

- أما بالنسبة للمشكل الثاني على مستوى العقل الغربي فيتمثل في (الدينامية)³ أي العلمانية ، حيث يقول طه عبد الرحمان فيها : " فاهتمام الإنسان بالآخرة ليس خروجا عن الاهتمام بالدنيا ، بل اهتمامه بالآخرة وسيلة للرجوع الى الدنيا والاهتمام بها بأفضل ما يهتم بها

¹ طه عبد الرحمان : الحوار أفقا للفكر . ط1، بيروت ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر . 2013 ، ص 47

² طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية ، المصدر السابق ، ص14 و ص 15

³ الدينامية : مبدأ يقضي بالتعلق بالدنيا والاهتمام بها وحدها دون الآخرة .

الانسان لو أنه يدرك الاهتمام بالأخرة¹ فمطلح العلمانية معناه أن الانسان يركز على الدنيا ويهمل الآخرة ، إضافة إلى هذا تصبح المعاني الدينية معاني علمانية تفضل الدين عن العقل وهذا ما رفضه طه عبد الرحمان جملة وتفصيلا .

- أما بالنسبة للمشكل الثالث المتمثل في الحداثة الغربية فقد وجه طه عبد الرحمان نقدا لا يختلف كثيرا عن النقد الذي قدمه عدنان علي رضا النحوي² وفي هذا يقول طه عبد الرحمان : "من أخطر الآثار في الواقع الاسلامي وذلك بما تسلل منها الى ساحة العمل الاسلامي تحت مختلف الرايات والشعارات حيث أصبحت الديمقراطية مطلبا إسلاميا والاشتراكية مطلب إسلاميا كذلك ، وأخيرا ظهر منها من يهون من أمر الحداثة ، ويدعو الى حداثة إسلامية"³.

وهذا معناه أن الواقع الاسلامي تعرض لعدة اختلافات تلقاها من انتشار القومية والعلمانية والديمقراطية التي حملها العالم الغربي .

ومنه فإن هذه الحداثة حسب رأي طه عبد الرحمان بقدر ما بنت بقدر ما هدمت وخير دليل على ذلك هو التطور العلمي والتقني في جميع المجالات الذي يقابله العديد من المخاطر والآفات التي تسببت في العديد من الازمات على جميع الاصعدة ، وهذا ما دفع بطه عبد الرحمان الى نقد العقل الغربي والحداثة .

المبحث الثاني : عقلنة الاخلاق عند طه عبد الرحمان :

لقد عرف هذا القرن سيطرت الفكر الأداتي الذي يرى ان التقنية وحدها كافية لتحقيق التقدم ، فقام هذا الاتجاه بتحويل علاقتنا بالعمل وبالأخرين حيث أصبحت هذه العلاقة مادية أكثر مما هي انسانية والنتيجة المترتبة على ذلك موت العاطفة والتأمل وتلاشي الاخلاق ، مما

¹ عدنان علي رضا النحوي : تقديم نظرية الحداثة ، ط1 ، العراية ، دار النحوي للنشر والتوزيع 1992 ، ص 26

² عدنان علي رضا النحوي : (1928- 2015) أديب وناقد سعودي وداعية إسلامي من أصل فلسطيني من مؤلفاته : في العمل الاسلامي ونظريات في التغيير .

³ عدنان علي رضا النحوي : تقديم نظرية الحداثة ، ط1 العراية ، دار النحوي للنشر والتوزيع 1992 ، ص 26 .

تحتّم على الفكر الاسلامي التصدي لهذا النوع من الممارسات لاسترجاع الطبيعة الاخلاقية الانسانية تكون مستمدة من أصول الشريعة الاسلامية .

1- النظرية الاخلاقية الاسلامية :

يرى طه عبد الرحمان الفيلسوف المغربي المعاصر ، أن العقلانية الحديثة جعلت من العقل والعلم إلهين جديدين ، فالإيمان بالعقل وحده يعني ان العقل يصبح مرجعا تستند اليه المعايير المتغيرة من اجل ابراز التقدم¹.

والايمان بالعلم يعني ان العمل وحده قادر على جميع المسائل الشائكة ، يعني ان الحداثة الغربية بموجب هذا المنظور في مجال العلم والتقنية قد قطعت اي صلة بالأخلاق او الدين او بصفة عامة كل ما يأخذ طابعا روحيا او دينيا وفي سياق ذي صلة على ما تقدم يقول هايدغر² في تقييمه للتقدم العلمي التقني "إن الاستعمال الجيد للتقنية على انها وسيلة هو النقطة الجوهرية في هذه المحاولة لهذا نريد ان نتحكم في التقنية وتوجهها لصالح غايات روحية نريد ان تصبح سادة عليها ، إن ارادة السيادة هذه تصبح أكثر الحاحا كلما هددت التقنية أكثر بالانفلات من مراقبة الانسان³.

فالإسلام لا يفرق بي العقيدة والعلم والتقنية بل بالعكس من هذا يعمل على سد الثغرة ويوحد بينهما في وحدة واحدة ، وهذا ما يتطلب في تقديم الغاية الروحية على الغالية المادية ويقول طه عبد الرحمان : "إن كل تقدم مادي يتطلب تقدما روحيا يفوقه قوة او على الاقل يساويه حتى يحصل الانتفاع به"⁴ .

¹ طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق .المصدر السابق ن ص 59.

² هايدغر : فيلسوف ألماني مؤسس الوجودية (1889-1976) من أهم مؤلفاته :الوجود والزمان .

³ مارتن هايدغر : التقنية والحقيقة والوجود : تر محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح ، (د ط) بيروت ، المركز الثقافي العربي 1995. ص 45.

⁴ طه عبد الرحمان : روح الحداثة المدخل لتأسيس الحداثة الاسلامية ، ط1 ، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ، 2006، ص 233.

ومن هذا فإن طه عبد الرحمان يرى ان الحضارة الغربية بنظامها العلمي والتقني لا يمكن ادراك مخاطرها إلا بالاستعانة والعودة الى الاسلام والعمل وفق مبادئه الأخلاقية ، وعدم العمل بمبدأ السيادة على الكون كما رأينا سابقا ويظهر هذا الامر جليا و واضحا مع الانواريين الذين عملوا على تحرير الاخلاق من سلطة المعتقدات الدينية من خلال :

1-مبدأ التوجه الى الانسان : (يقضي هذا المبدأ بأن نترك التوجه في تصوراتنا وتصرفاتنا الى الله ونقتصر فيها على التوجه الى الانسان)¹ ، بمعنى ان الانسان قادر على اتخاذ زمام أموره بيده دون الاستعانة بالله ، وعليه فهذا المبدأ يدعو الى الانفصال عن الإله.

2-مبدأ التوسل بالعقل : (يقضي هذا المبدأ بأن نترك التوسل في أفكارنا وسلوكاتنا بالوحي ونقتصر فيها على التوسل بالعقل)² ، وذلك من خلال انهم يرون ان العقل بمنزلة السلطان الأمر والناهي الذي يأمر الانسان بإصدار أحكامه على الاشياء .

3-مبدأ التعلق بالدنيا : (يقضي هذا المبدأ بأن نترك التعلق بأعمالنا ومعاملاتنا بالآخرة وتقتصر فيها على التعلق بالدنيا)³ ، يدعو الى الانفصال عن الآخرة .

وبناء على هذه المبادئ الثلاثة السابقة الذكر (إشتغل ارباب الحداثة الغربية بإنشاء أخلاقهم اللادينية البديلة عن الاخلاق الدينية)⁴ ومن هنا أبعثوا الاخلاق عن الدين ونسبوا للا دين وحده .

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ ان النظرية الاخلاقية الاسلامية كانت تسعى دائما الى اضعاف طابع ديني على العلوم يتناول غاياتها في المقام الاول والاهداف الموجودة في البحث العلمي ثانيا وهذا ما من شأنه ان يجعل هذه العلوم سببا لازدهار الإنسان وصيانة

¹ المصدر نفسه ، ص 100 .

² المصدر نفسه ، ص 101 .

³ المصدر نفسه ، ص 101 .

⁴ طه عبد الرحمان : روح الحداثة المدخل لتأسيس الحداثة الاسلامية ، المصدر السابق 101 .

الخلق ، وبهذا تكون الاخلاق الاسلامية أعمق من سابقاتها لان الحركية الموجودة من قبل في الاديان إزدادت وتضاعفت بموجب تحميله لمكارم الأخلاق¹.

3- مراتب العقل عند طه عبد الرحمان :

تتفاوت مراتب العقل عند طه عبد الرحمان بقدر ما ترتقي في التقرب الى الله ، وهذا ما يوضحه من خلال مؤلفه (العمل الديني وتجديد العقل) حيث قسم خاصية العقل الى ثلاث مراتب أعلاها العقل المؤيد وأوسطها العقل المسدد وأدناها العقل المجرد ومن خلال هذا التقسيم نطرح الاشكال التالي:

- ما مراتب العقل عند طه عبد الرحمان ؟

أ-العقل المجرد:

أسس طه عبد الرحمان مقدمة العقل المجرد على صورة فعلية فهو (عبارة عن الفعل الذي يطلع به صاحبه على وجه من وجوه شيء ما معتقدا في صدق هذا الفعل ومستندا في هذا التصديق الى دليل معين)² ، ابتعد في تعريفه للعقل عن التعريف اليوناني الذي يعتبره جوهرًا قائمًا بالذات الانسانية مميزا لها عن الحيوان ، لذلك قال أن هناك قسمين للعقلانية :

القسم الاول : المتمثل في العقلانية المجردة من الاخلاق وهي التي يشترك فيها انسان مع البهيمة .

القسم الثاني : المتمثل في العقلانية المتسدة بالاخلاقية وهي التي يختص بها الانسان دون سواه³ .

ومن خلال تعريفه للعقلانية ضبط ثلاثة معايير لها متمثلة في :

¹ حاجي خالد : من مضايق الحداثة الى فضاء الابداع الاسلامي العربي ، ط1 ،الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي 2005 ،ص 125.

² طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، المصدر السابق ص 17.

³ طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق ، المصدر نفسه ص 14.

1- معيار الفاعلية : وفي هذا الاول أن الانسان يحقق ذاته بواسطة أفعال مجالها متنوع ومتنوع بحيث يتجلى اتساع مجال أفعاله وتنوعها في مظاهر ثلاثة هي :

*أولها كون انواع هذه الافعال ووسائلها متعددة .

*ثانيا كون ظروفها المكانية والزمانية منقلبة .

*ثالثا كون بواعثها ومقاصدها متفاوتة ¹ .

2- معيار التقويم : يتمثل في التصحيح بمعنى مراجعة الاصول والرجوع الى الاصل ، فلو دام المرء على الممارسة الغير شرعية مادام واشتغل بالاستفادة منها ولكن سرعان ما تنكشف حدودها وتصنيف آفاتها ، وهذا المعيار الذي تسند فيه الأفعال الى قيم معينة ² .

3-معيار التكامل : في هذا المعيار نجد ان الانسان هو عبارة عن اختلاف وتعدد قدراته النفسية و وظائفه العضوية ، إلا ان الانسان عبارة عن ذات واحدة تجمع فيها مظاهر القوة مع مظاهر الضعف لتحقيق الانسجام والتكامل فيما بينهم ³ .

- وانطلاقا من هذه المعايير قام عبد الرحمان بنقد تعريفين إثنين للعقلانية وهما التعريف الارسطي والتعريف الديكارتري ، وحتى لا نعتقد ان هذا المصطلح أخذه طه عبد الرحمان من الفكر الغربي فقد أشار لنا في كتابه (العمل الديني وتجديد العقل) أنه قد استمد من عمق التراث الإسلامي ، حيث يعتقد أن أول من قال بهذا المصطلح (العامري) ويقتطف لنا نصا من كتابه (الاعلام بمناقب الاسلام) يقول فيه : "إن صناعة الإلهين ، فهي مرتفعة من أن يدرك شيء من أعراضها إلا بقوة العقل المجرد لبا ولب كل شيء خلاصته وهي صناعة مجردة للبحث عن الأسباب الأولية لحدوث الكائنات التالية"⁴ كما نجده بنص ورد عن ابن

¹ طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق (مساهمة النقد الاخلاقي للحدائث الغربية) ،مصدر سابق ،ص62.

² طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، مصدر سابق ، ص 62.

³ طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق ، المصدر السابق ص 63.

⁴ طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، ص 17 .

خلدون في كتاب (المقدمة) يقول فيه : "ان العلم المجرد عن الأصناف قليل الجدوى والنفع ، هذا علم أكثر النظائر"¹ ويطلق عليه اسم (العقل النظري) .

من خلال التعريف السابق الذكر للعقل المجرد نلاحظ ان طه عبد الرحمان قدم لنا مصطلح العقل ليثبت ان العقل ليس جوهرًا من جهة وليقوم بربط العقل بسلوك ما من السلوكات من جهة أخرى حتى يتمكن الانسان من الاطلاع عما حوله وما يجول في نفسه ، وقد تأثر طه عبد الرحمان بالآية الكريمة (سنريهم آياتنا في الافق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)²، ومن هذا يقدم لنا دليل على صحة موقفه يتمثل في المماثلة : حيث شبه العقل بالبصر والبصر ليس جوهرًا مستقلًا بنفسه وكذلك العقل فعل مرتبط لذات حقيقية والمتمثلة في القلب.

وقد اتخذ العقل معنى (فعل القلب) عند المسلمين صور مختلفة وهي :

1-صورة الربط : بمعنى ان العقل هو إدراك القلب للعلاقة بين معلومتين

2-صورة الكف : بمعنى أن العقل يمنع صاحبه من الوقوع فيما يضر به نزعات وشهوات .

3-صورة الضبط : بمعنى ان العقل هو امسك القلب لما يصل اليه حتى لا ينفلت منه³ ، وفي هذا يتبين لنا أن طه عبد الرحمان قدم لنا ثلاثة حدود عامة للعقل المجردة هي :

*الحدود المنطقية الثابتة للبرهان الرياضي .

*الحدود الواقعية التي يشهد عليها واقع العلوم في تكوينها وتطويرها

*الحدود الفلسفية التي حاول استنباطها من تصور الفلاسفة لطبيعة العقل المجرد⁴ .

¹ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

² سورة فصلت ، الآية 52

³ طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، مصدر سابق ص 19

⁴ المصدر نفسه ، ص 40

هذه الحدود عملت على تشويه العقل والانقاص من قيمته لهذا عمل طه عبد الرحمان على استبداله بمفهوم العقل المسدد .

ب- العقل المسدد :

بما أن طه عبد الرحمان قد أقام حجته على قصور العقل المجرد في ادراك كل الحقائق ومعالجة كل الظواهر ، يجب تدارك هذا القصور مع العقل المسدد ، الذي أسسه على مقدمتين الاولى لزومه الصفة العملية والمقدمة الثانية هي دخول الافة عليه ، وعليه فالعقل المسدد هو الذي يسدد العمل بالشريعة الاسلامية اذ عرفه بأنه (عبارة عن الفعل الذي ينبغي به صاحبه جلب منفعة او دفع مضرة ، متوسلا في ذلك بإقامة الاعمال التي عرضها الشرع)¹

فالفعل هنا خلاف ما وجدناه مع العقل المجرد فهو مجرد ادراك للأشياء وإقامة الدليل عليها ، أما فعل العقل المسدد فهو اقامة العمل الشرعي طلبا للمنفعة ودفعاً للمضرة بشروط ثلاثة هي:

1-موافقة الشرع : ان العمل الذي يخالف الشرع قصداً أو الذي لا يبالي صاحبه سواء أخالف أم لم يخالفه ، لا يمكن أن يقع التسديد وان يصح أن يقع به التوجيه إلا ان التوجيه غير التسديد ، فليس كل عمل منوط بالتوجيه عملاً منوطاً بالتسديد ، يجب أن يكون العمل موافقاً مع أحكام الشرع الاسلامي لإتباع أوامر الله عز وجل والابتعاد عن نواهيه .

2-إجتلاب المنفعة : إن المنفعة التي تنتج عن العمل الشرعي الا ان العمل الغير شرعي واعة تحدث لامحالة ولكن على المرء اجتنابها ، يقول "ان المنفعة الناتجة عن العمل

¹ طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، مصدر سابق، ص 44

الشرعي غير المنفعة فهذه الاخيرة واقعة لا محالة في النقائص ولو تحرى عليها فيها المرء ما تحرى واتخذ من المثل غير الشرعية ما اتخذ¹

3-الدخول في الاشتغال : وهو قوام العقل المسدد في مقال النظر في العقل المجرد اي الاستغراق في العمل ، وإتيانه على وقت مقتضى الحكمة منه وعلى وفق ما يؤول اليه في المستقبل ،العبرة ليست الأفكار المجردة وانما بالنتائج العلمية التي تلازم هذا الاشتغال .

وعليه لا يتحقق اجتلاب المنفعة إلا بالابتعاد عن نقائص ثلاث لا ينبغي ان يقع فيها العمل الشرعي ، ولا محالة واقع في غيره وهي (الصفة المادية ، الصفة السطحية ، الصفة الذاتية)²

- **الصفة المادية** : محدودة بقيمة المصلحة لذلك لا يرقى العامل بغير شرع الله بقيمة مستوى العامل بها ذلك ان العمل الشرعي يوجه الانتفاع المادي ويلبسه اللباس المعنوي ولا يتحقق ذلك في العمل غير الشرعي .

- **الصفة السطحية** : التي تطبع العمل غير الشرعي فتأتيه من محدودية وسائله وغايته العاجلة ، بينما العمل الشرعي يمد صاحبه بالسداد و يفتح له آفاقا اعتبارية بقدر عمله لذلك لا ينفذ نفي الصفة الذاتية عن العمل غير الشرعي لأنها نهايته وان بدا للأخرين خلاف ذلك أما العمل الشرعي فيخص صاحبه أهوائه ورغباته فيما يطلبه من خاص المنافع وعامها لأن غايته مرضاة الله لا مرضاة نفسه ومصالحته .

إن كانت هذه الصفات التي لا يمكن أن يتصف بها العمل الشرعي ولا محالة واقع فيها العمل غير الشرعي فإن ممارسة العمل الشرعي أو الدخول في الاشتغال ينبغي ان يلتزم بأربعة وظائف وهي : التشخيص ، التشريف ، التوسيع ، التصحيح.³

¹ طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، المصدر السابق ، ص 60

² نفسه ، ص 64.

³ نفسه، ص 65.

- يحاول من خلال وظيفة التشخيص أن يبين أن أهمية العمل الشرعي في كونه ملموسا ظاهرا نفعه ملحوظا أثره على الصالح العام لأن العبرة بالثمار العملية وليست بالأفكار .

- أما التشريف فلا يحصل إلا اذا اقترن العلم بالعمل ولا يمكن أن يحدث العكس كما هو الحال مع العقل المجرد .

- وتأتي وظيفة التوسيع لتبين الأثر الذي يتركه الاشتغال بالعمل الشرعي على صاحبه إذ أن العبادة توسع مداركه وتعمل على تهذيب سلوكه ، فيتحرر من سلطان العادات والاعتقادات الفاسدة في الوقت الذي تعمل وظيفة التصحيح على تصحيح الانحراف الحاصل في عقله نتيجة النظر التجريدي مادام قائما بالاشتغال بالعمل الشرعي فيفتح له باب الفهم والتمعن والزيادة في العمل .

خلاصة القول في العقل المسدد أنه مسدد بقيم العمل الشرعي وبقدر المواظبة على الاشتغال بها تجني ثمارها في اتساع أفق الفهم استنارة البصيرة خلاف العقل المجرد المقيد بتظيراته.

ج- العقل المؤيد :

أسس طه عبد الرحمان العقل المؤيد أيضا على مقدمتين الأولى تناولت تعريفه والثانية أسس لكماله وعليه فالعقل المؤيد : هو عبارة عن الفعل الذي يطلب صاحبه معرفة أعيان الأشياء بطريق النزول في مراتب الاشتغال الشرعي مؤديا النوافل زيادة على اقامة الفرائض على الوجه الأكمل¹ فمعرفة أعيان الأشياء هو ما جعله طه صفة للعقل المؤيد وهي : العينة : يقصد بها أنها موضوع العقل المؤيد هو أغنى وأشرف مواضيع المعرفة الممكنة متمثلة في الصفات والافعال والذوات ، فإذا كان العقل المجرد يتعرف على الصفات والعقل المسدد يتعرف على الأفعال فإن العقل المؤيد يقصد معرفة الذوات ولا سبيل لمعرفة الذات إلا بالجمع بين النظر والعمل والتجربة التي سماها طه عبد الرحمان بالملابسة أي اتباع طريق النظر العملي الحي والملابسة درجات هي المزولة التي تغلب فيها الظاهرة للجوارح ،

¹ طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، المصدر السابق ، ص 121

لتنعكس آثارها على الجوانح وحينها سيكون المؤيد قد ارتقى للمخالطة لما تركته هذه الأعمال من أثر في نفسه كالأنس والسكينة ، ثم تأتي درجة المباطنة وفيها يظهر آثار الأعمال الباطنة للجوانح فتنعكس على الأعمال الظاهرة للجوارح .

وعليه فهو يرى ان الملابس مباطنة تحقق 'للمؤيد' منفعتين هما الطمأنينة والمحبة فتمنحه الطمأنينة قوة التحمل والطاقة في السير وتزيده يقينا بمحصوله وأما المحبة في طريقة للمعرفة العينية وهي الاشتغال بالمحبوب عن سواه¹ ، وبهذا يسلم العقل المؤيد من كل الآفات التي دخلت على العقل المسدد لأنه اشتغال غير مأمون العواقب ذلك أنه معرض للاغترار .

- والشرط الثاني في تحقيق العقل المؤيد العينية هي صفة العبدية التي لا تتحقق إلا بالتححرر الكامل من كل تبعية ، فيكون التححرر من قصد الصفات 'وهذا ما وقع فيه العقل المجرد' هو ترك التبعية للشيء او ترك التبعية الشئئية وهو ما سماه طه عبد الرحمان بالتخلص ، ويكون بالتححرر من قصد الأفعال 'وهذا ما التزم به العقل المسدد' هو ترك التبعية العلمية ، وسماه الاخلاص ، مهدت لتحقيق شرط ثابت وهو بالذات التبعية المحققة للعبدية واصطلح عليه تسمية الخلاص .

يظهر ان العقل المؤيد عند طه عبد الرحمان لا يخرج من دائرة الدين بداية ومنطلقا ، ليتخذ من أسباب الطاعة في العبادة والمعاملة كمبدئين عمليين يطبقان من خلال وسيلة الاشتغال بالله والتعامل في الله لابتغاء رضاه ، فبفضل العمل تأخذ آفاق العقل في الانفتاح والتوسع والتعمق .

وليس للشخص أن يختار هذا العمل بالتشهي بل ينبغي أن يتوارد العقل والنقل على صحة فائدة العمل المختار في الوصول الى هذه الغاية ولا عمل أقرب غير 'العمل الشرعي' فهو أنفع الاعمال في جلاء الحدود وأنجع الوسائل في رفع القيود².

¹ المصدر نفسه ، ص 126

² طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل ، ص 129

الفصل الثالث

المشروع الأخلاقي لطفه عبد الرحمان

المبحث الأول: موقف طه عبد الرحمان النقدي للنظريات الأخلاقية

إن الوقوف على موقف طه عبد الرحمان من الفكر الأخلاقي يستوجب منا بيان كيفية استقباله للفلسفة الأخلاقية، بدءا من اليونان و وصولا إلى الفكر الغربي الحديث و العربي معا. فكيف كان موقفه من ذلك؟.

1-موقف طه عبد الرحمان من فلسفة الأخلاق اليونانية (الأرسطية):

لقد كان موقف طه عبد الرحمن من الأخلاق كما تصورتها الفلسفة اليونانية و على الخصوص الفكر الأخلاقي للمعلم أرسطو موقفا نقديا، وذلك لما له من تأثير على المسار التاريخي للفكر الفلسفي والأخلاقي عموما والفكر العربي والإسلامي خصوصا، وفي هذا الإطار يقول طه عبد الرحمن: " وأما أرسطو فقد سار في الأخلاق على نهجه المؤلف في وضع قواعد العلوم، فوضع أصول هذا العلم في كتابين أساسيين : الأخلاق إلى أوديموس في خمس مقالات، والأخلاق إلى نيقوماخوس في عشر مقالات، وقد أحاط المسلمون بالنظرية الأخلاقية الأرسطية بفضل نص الترجمة الكاملة لكتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس، وقد تناولوه بالشرح ومن جملة من شرحه " الفارابي " وابن رشد¹.

و المقصود بالنهج هنا هو العقلانية الأرسطية والتي ينتقدها طه عبد الرحمن و يعتبرها عقلانية مجردة كما جاء في كتابه سؤال الأخلاق حيث يقول: "العقلانية على قسمين كبيرين، فهناك العقلانية المجردة من الأخلاقية ... وهناك العقلانية المسددة بالأخلاقية².

و لا شك أن عقلانية أرسطو هي عقلانية مجردة ، والحقيقة أن الأخلاقية هي ما به يكون الإنسان إنسانا، وليست العقلانية كما هو سائد في النفوس منذ قرون بعيدة، لذا يجب أن تظهر الأخلاقية في كل فعل من الأفعال التي يأتيها الإنسان مهما كان متغلغلا في التجريد،

¹ طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص

387.

² طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المرجع السابق، ص 14 .

بل تكون هذه الأفعال متساوية في نسبتها إلى الأخلاقية، حتى أنه لا فرق في ذلك بين فعل تأملي مجرد وفعل سلوكي مجسد¹.

و من هذا فان العقلانية عند طه عبد الرحمن أنواع:

- العقلانية البرهانية (المجردة) التي نجدها مفصولة عن الأخلاق.

-العقلانية الحجاجية (المسددة) .

-العقلانية المؤيدة مرتبطة بالأخلاق.

و ما دام الفكر الأرسطي ينتمي إلى العقلانية البرهانية فانه لا يمكن الاعتماد على القيم الأخلاقية التي تحدث عنها أرسطو من فضيلة وشجاعة وعدل.... وغيرها من الفضائل.

حيث يقول طه عبد الرحمن: " إذا كان المقصود بالفلسفة البرهانية فلسفة تكون عبارة عن جملة من الأدلة التي تستوفي نفس المقتضيات المنطقية التي تستوفيها الأدلة في العلوم الدقيقة فلا وجود لمثل هذه الفلسفة على الرغم من أنف مجموعة الفلاسفة من أمثال " أرسطو" و" ابن رشد" و" ديكارت" و" سبينوزا " و" لايبنتز".²

استعمال معيار التقويم لذلك لزم علينا أن نطلب تعريفا آخر لا يقع في هذا الإخلال و لا في هذه الاساءة³.

و مجمل القول أن طه عبد الرحمان يرفض القيم الأخلاقية التي نادى إليها أرسطو حيث يقول: " إن أرسطو يستهل حديثه عن الأخلاق في كتابه (الأخلاق إلى نيقوماخوس) بالكلام عن الخير الأسمى بوصفه المقصد الأقصى الذي تتجه إليه أفعال الانسان، فيقول أن البحث فيه ينبغي أن يختص بأفضل العلوم رتبة. و أن لا علم أشرف من علم السياسة، إذن هو الذي يعين من بين العلوم أوجبها للمدن، و يعين من بين أصنافها أوجبها لكل طبقة من

¹ طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص 14-15.

² طه عبد الرحمن : حوارات من أجل المستقبل، ط1، دار الهدى للنشر و الطباعة، الدار البيضاء، 2005، ص. 52

³ طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص 64.

مواطنيها... و متى كان علم السياسة يستخدم كل العلوم العلمية الأخرى، و كان هو الذي يشرع ما يجب فعله و ما يجب تركه".¹

و يصيف لنا قائلا: "إن هذه الأخلاق التابعة للسياسة و الخادمة للمدينة عرض لها بسبب هذه التبعية و هذه الخدمة القصور من وجهتين:

أ- أن هذه الأخلاق موضوعة وضعا إنسانيا، فتعلقت بالإرادة الإنسانية من دون الإرادة الإلهية.

ب- أنها موضوعة لفئة من الناس، فتعلقت بالمواطنة المدنية دون الفطرة الإنسانية.²

2- موقف طه عبد الرحمن من فلسفة الأخلاق الحديثة (ديكارت - كانط)

2-1- موقفه من فلسفة الأخلاق الديكارتية:

لم تبقى الحداثة الغربية وليدة الغرب ، بل انتشرت إلى أقطار العالم، و ما زاد من انتشارها هو الانقلاب الذي أحدثه ديكارت من خلال فلسفته، فقد قلب الموازين من اليقين إلى الشك ، فبعدها أن كانت تؤمن أوروبا باللاموت و اعتباره مصدر وثيق، أقلبه ديكارت إلى الشك أي الفلسفة فلسفة العقل.

وكان للكوجيتو الديكارتي الأثر الواضح على مختلف الفلسفات، و بذلك امتد تأثيره إلى المذاهب و الانساق الفلسفية الكبرى.

وحتى في الوطن العربي كان محل اختلاف و تباين، و هناك من اعتبره خارج مجال التداول الاسلامي ولا يمكن الأخذ به.

¹ طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص ص ، 401-402.

² المصدر نفسه، ص 402.

لذلك نجد الفيلسوف طه عبد الرحمان من الذين تعرضوا لنقد " الكوجيتو الديكارتي " خاصة في مسألة الترجمة و اعتبره خارج المجال التداول الاسلامي ، و اجتهد من خلال مشروعه أن يقدر فلسفة جديدة تضاهي فلسفة الكوجيتو الديكارتي.¹

و من هذا قدم طه عبد الرحمن انتقاده للكوجيتو الديكارتي الذي يتأسس على مقولة: " أنا أفكر، إذن أنا موجود"، الذي سلك فيه مسلك الشك ليقلبه طه عبد الرحمن إلى مقولة " أنظر تجد" بحيث رأى أن هذه المقولة تتوافق وتحقق شروط المجال التداولي الإسلامي منطلقة من اليقين وصولاً إليه، فإذا ديكارت أقام نسقه الفلسفي على الشك، فإن طه عبد الرحمن أقامه على منهج اليقين.

لقد حاول طه عبد الرحمن في سنة 1995 في مضمون كتابه "فقه الفلسفة" إعادة ضبط ترجمة كوجيتو ديكارت من عبارة " أنا أفكر إذن فأنا موجود" إلى ترجمة جديدة، لتأصيل المعنى هي " أنظر تجد " ومن خلال هذه النقطة الجريئة هناك من أيد طه عبد الرحمن في محاولته تقريب المفاهيم الفلسفية الغربية لتلاءم خصوصية اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وهناك من انتقد موقفه هذا مثل علي حرب من خلال مؤلفه "الفكر والحدث" ، و الهدف من نظرية الترجمة هذه هي أنها تسعى إلى التمييز بين الفلسفة والترجمة فهو يقول في كتابه "فقه الفلسفة: " السبب في ظهور الفلسفة هو ارادة إنسانية تمثلت في كون الإنسان قرر أن يستخدم العقل في تحصيل المعرفة بأسباب الوجود، بينما يبدو أن السبب في ظهور الترجمة هو ارادة إلهية تجلت في كون الإله شاء أن تختلف الألسنة منها بين بني الإنسان وأن تنزل الصحف المقدسة ببعض، ففلسفة الترجمة هي:

النظر في الترجمة من جوانبها الثلاث: الجانب الوجودي" ، والجانب المعرفي، والجانب الأخلاقي " هي النظر في بعض الخصائص الكلية للترجمة¹.

¹ قروش حيزية، الكوجيتولين ديكارت و طه عبد الرحمان، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، اشراف مقورة جلول، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017، ص 88.

ونرى أن الكوجيتو الديكارتي كلما زاد شكا زاد تفكيراً، عكس الكوجيتو عند طه عبد الرحمان كلما زاد يقينا زاد تقربا الى الله ، ويقول طه عبد الرحمان في هذا الصدد "إن الاصل الظاهر في كل أمر فلسفي في محل للإيمان هو استواء اليقين في وجود هذا الإيمان والشك فيه فإن تفرع عليه وجود الإيمان كان الأصل الحقيقي فيه اليقين تفرع عليه عدم الإيمان كان الاصل الحقيقي فيه الشك يعني أن كل تفلسف محله إيمان أي منبعه"²

- إذن الكوجيتو الديكارتي جاء لتحرير العقل الأوروبي من هيمنة وسيطرة الكنيسة والدعوة إلى إعمال العقل من أجل الإبداع .

- بينما الكوجيتو عند طه عبد الرحمان جاء لتحرير العقل العربي من التقليد الأعمى والدعوة الى التجديد والتميز .

- مما سبق ذكره نلاحظ ان الكوجيتو عند طه عبد الرحمان يربطربطاً محكماً بين العقل والحواس ، وبالتالي يصبح العقل عنده فعلاً من الافعال او سلوك من السلوكات وفي هذا يقول طه عبد الرحمان : "بل نتعداه الى حصول التفاعل بينهما فكما أن في الحس عقل فكذلك في العقل حس"³

2-2- موقفه من الأخلاق الكانطية :

نستكلم هنا على موقف طه عبد الرحمان من النظرية الأخلاقية للفيلسوف الألماني كانط التي ارتبطت نظريته بالأخلاق اللادينية :

- إن المشروع الأخلاقي الكانطي يعتبر من أهم المشاريع في الفلسفة الحديثة وذلك لإرتباط معيار القيم الأخلاقية أي قوانين ما يجب أن يكون ، وفي هذا يقول "لا يوجد شيء يمكن

¹ طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص104

² طه عبد الرحمان : فقه الفلسفة ، كتاب مفهوم والتأثيل ط2 ، الدار البيضاء ، المغرب المركزي العربي ، 2005، ص 30

³ قرويش حيزين : الكوجيتو بين ديكارت وطه عبد الرحمان ، ص 90 .

عده خيرا على وجه الإطلاق ودون قيد ، اللهم إلا شيء واحد هو الإرادة الخيرة ¹ ويقصد هنا بالإرادة الخيرة النية الطيبة التي وحدها يمكن أن تعد خيرا في ذاته أو خيرا مطلقا أو خير غير مشروط .

حيث أعتبر كانط الأخلاق مفصولة عن المصدر الإلهي ، وهذا الأمر الذي أدى ببطه عبد الرحمان إلى بيان مواطن النقص و الضعف في هذا التصور الدنيوي المحض للأخلاق وذلك بقدرة العقل على الإيصال إلى قوانين أخلاقية مطلقة .

ولهذا فإن طه عبد الرحمان يقرر حقائق فطرية غابت عن كانط في التصور العقلاني للتعبد:

1- إن التعبد للإله هو الاصل في الخلق الحق .

2- إن عبادة الأخلاق أولى بالوثنية من غيرها ، وذلك لكونها تعلق بما سوى الله .

نتيجة لهذا يعترض طه عبد الرحمان على موقف كانط في مسألة واحدة أساسية هي تقديم المعرفة الخلقية على الاعتقاد الديني وذلك من جانبيين هما :

أولهما : وقوع كانط بمقتضى هذا التقديم في شبه التناقض ، حيث أنه خالف بمبدأ التجرد المطلق من الأغراض ، والذي تقوم عليه نظرية الواجب التي اعتمدها ، واشاهد هو إقرار كانط بالعجز عن التأكد مما إذا كان الإنسان قد قام بعمل أخلاقي .

ثانيهما : تقدم تخلق المؤمن على إيمانه المتخلق بحيث أن تخلقه يقتضي بأن تكون أخلاقه ثمرة لإيمانه فيكون بناء الأخلاق على الايمان عبارة عن بناء يقام على الذي هو أعلى فيزداد الخلق إرتقاء .

¹ ايمانويل كانط : تأسيس ميكافيزيقا الأخلاق ، تر عبد الغفار مكاوى ومراجعته عبد الرحمان بدوي الهيئة المصرية العامة

وعليه يؤكد طه عبد الرحمان أن الاصل في تخلق المؤمن أن يرتقي بأخلاقه في الأفق الروحي ، بينما الأصل في ايمان المتخلق أن ينزل ايمانه الى السياق المادي والارتقاء بالروح مقدم على النزول المادي .

ولما كان التصور الاخلاقي الكانطي مبني على مبدأ الإرادة الخيرة كان موقف طه عبد الرحمان موقفا نقديا حيث يقول "وهكذا بفضل مبدأ الارادة الخيرة ، يبدو ان صرح الاخلاق في غنى عن الاقامة على قاعدة الايمان بالله او قاعدة ارادته المطلقة بمعنى أن الأخلاق لا تحتاج الى الدين بل تكفي بذاتها ، حيث ان كانط جعل من الدين فرعا من الاخلاق في الحين ان الدين هو الأصل والأخلاق هي الفرع .

وهكذا يتضح ان هذين المعتقدين الدينيين (خلود ارواح) و (وجود الإله) اللذين هاهنا أنزلا منزلتين ، جاء تابعين للأخلاق "1.

- من خلال كل ما سبق نستنتج ان طه عبد الرحمان يرفض الاخلاق الكانطية رفضا تاما ، وهذا بصريح العبارة "إنه لا مجال للشك في ان كانط اقام نظريته الأخلاقية العلمانية على قواعد دينية مع ادخال الصنعة عليها ، حيث استبدل مكان الإله مع قياس أحكامه على أحكامه ، فإذن ليس لهذه النظرية من وصف العلمانية الا الظاهر بحيث تصير العلمانية عنها هنا عبارة عن ديانية خفية مثلها مثل الديانة الجلية في الاخلاق ... "2

3- موقف طه عبد الرحمان من النظريات الاخلاقية المعاصرة :

3-1- موقفه من الاخلاقية الغربية المعاصرة :

قدم طه عبد الرحمان مقارنة استشكالية للحدثة بما هي مساءلة أخلاقية ، تقصد تأسيس حدثة إسلامية ، طريقة مخصوصة في التفلسف تدعونا الى عدم تقليد نمط التفكير الحداثي

¹ طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق .ص 38

² عبد المالك بو منجل : الابداع في مواجهة الاتباع ، قراءات فكر طه عبد الرحمان ، ط 1 ، بيروت لبنان ، المؤسسة

العربية للفكر والابداع ، 2017 ، ص 68

في سياقه الغربي ، يضمن هذا البناء موقفا ايجابيا من الحداثة يغير وجهة الجدل الفكري
الحاصل في الثقافة العربية من (جدل الحضارة الاسلامية - الحضارة الغربية والشرق -
الغرب والاسلام - الحداثة الى جدل الاستقلال - التبعية والابداع - التقليد والتحضر -
التخلف)¹

-ينطلق طه عبد الرحمان في تقويم الحداثة الغربية ، بناء على التسليم بالتفاوت الثقافي
والحضاري بين الامم ومن دعوى مفادها (كما ان هناك حداثة غير اسلامية فكذلك ينبغي
ان تكون حداثة اسلامية)² قاصدا وضع حداثة أخلاقية ، تجعل من التقدم المعنوي الروحي
هو الاصل تجاوزا لآفات الحداثة الغربية التي تفصل التقدم اعادي عن التقدم الاخلاقي .

لذلك يشرع الفيلسوف طه عبد الرحمان في تقديم نقدا أخلاقي للحداثة الغربية معتمدا في ذلك
على أصالة الأخلاق الإسلامية .

فالنقد الذي قدمه فيلسوفنا هو نقد موضوعي يتماشى وروحه الفلسفية لان هناك انسجام
وتلاحم من فعل النقد والفلسفة في فكره ، وليس هناك تباعدا فشتانا بين من يستعمل النقد من
أجل النقد فقط ، أو من يستعمله كمرحلة مؤقتة في بحثه ، وبين من يؤمن به ويعيش به
ومعه ، اذن نلاحظ ان فعل النقد في كتبه لم يكن غائبا أو متجاهلا أو مؤقتا وانما كان
أسلوب حياة وطريقة تفكير لديه .³

أما مجال العلم والتقنية الذي فرضته الحداثة الغربية قد قطع أي صلة بالأخلاق او الدين
بصفة عامة كل ما يشكل وبأخذ طابعا روحيا أو دينيا غير وجه الحياة في العالم ، وما رافقه

¹ عبد المالك بومنجل : الابداع في مواجهة الاتباع ، قراءات في فكر طه عبد الرحمان ، ط1 ، بيروت لبنان ، المؤسسة
العربية للفكر والابداع ، 2017 ، ص 68 .

² طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، ص 17 .

³ آمال موموهب : القيمة الاخلاقية من منظور طه عبد الرحمان ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 20 سبتمبر
2017 ، جامعة الجزائر 2 ، ص 140 .

من اختراع للآلات ، الامر الذي نجم سيادة نوع الايمان المتطرف بالعلم الذي أدى الى ازمات أخلاقية حقيقة.

وفي هذا السياق يعتقد طه عبد الرحمان ان الحضارة الاوروبية التي انتجت العلم والتقنية وأمنت بالعقل وحده هي حضارة ناقصة ، لأنها أفرزت جملة من الآفات التي يتخبط فيها المجتمع الأوروبي او المجتمع الحدائي¹ ، وقد بين طه عبد الرحمان في مؤلفه "سؤال الاخلاق" جملة من النقائص في العقلانية الاوروبية والتي كان لها تأثيرها على الحضارة العربية والاسلامية وهي :

أ- النسبية : التي ترى ان كل شيء نسبي في العلم ولا توجد حقيقة مطلقة كذلك الاخلاق والقيم نسبية أيضا .

ب- الإسترقاقية : حيث اصبح الانسان العربي عبدا للحضارة العلمية الحديثة على حساب دينه وقيمه وحضارته .

ج- الفوضوية : حيث أدى شيوع المنهج العلمي والعقلي الى نشر الفوضى واللامبالاة في الحضارة الغربية².

3-2- نقد طه عبد الرحمان للحضارة الغربية :

يرى طه عبد الرحمان ان الحداثة الغربية لا تقوم على الاساس الاخلاقي ، وبالتالي هذه الاخيرة هدامة لكل أصول الحداثة الاسلامية وليست ببناءة .

لهذا سعى طه عبد الرحمان الى الابتعاد على المسلمات التي إنبنى عليها التطبيق الغربي ويضع لنا في المقابل مسلمات اخرى ينبنى عليها التطبيق الاسلامي³ وهي :

¹ طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق ، ص 59.

² طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق .ص 59.

³ جوادى الجيلاني : نقد الحداثة عند طه عبد الرحمان ، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي جامعة قاصدي مرياح ، مراكش، ابراهيم ، قسم العلم الاجتماعية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية 2016-2017-ص 40.

أ- التمديد الأخلاقي للعقلانية الغربية :

إن النقد الأخلاقي للحدثا الغربية كان نتيجة الإخلال بالصفات الاخلاقية لانه لا وجود لنظام الحياة إذا لم تكن هناك أخلاق كما أن الوجود الإسائي لا يتحقق إلا بالقيمة الاخلاقية ويقول طه عبد الرحمان في هذا الصدد : "القيمة الاخلاقية أسبق على غيرها من القيم بحيث لا فعل يأتيه الانسان إلا ويقع ابتداء تحت التقويم الأخلاقي" ¹ ، وبهذا يتضح لنا أن الحدثا الإسلامية هي في حقيقتها حدثا أخلاقية .

ب- انفصال العلم عن الأخلاق :

إن النقائص التي حددها طه عبد الرحمان في الحضارة الغربية جعلت الحضارة الغربية نحو اتجاه واحد هو (تأليه الطبيعة والعلم على حساب الدين والاخلاق ، والروح ، والقيم ، والانسان أي اتجاه مادي صرف) وبالتالي أصبح الطابع المادي هو ما يميز الحدثا الغربية ، ومنه أصبح النموذج المعرفي الغربي متحيزا للموضوعي (المادي) على حساب ذاتي ، أي لا شيء خارج المرئي أو الملموس ، ومنه يمكن القول ان المادة هي مبدأ أصل النظام المعرفي الغربي ، ومن جراء ذلك يصبح العلم هو عقلنة للطبيعة ، مستبعدا كل غائية علما أن الغائية هي مبدأ الفكر الديني ، إن لم نقل يقطع صلته بها ² .

-يحاول طه عبد الرحمان أن يمتلك الحدثا ، ضمن رؤية مغايرة لنقدها والتملك لا يكون إلا مغايرة ، وهو يرى أن أزمة الحدثا في شقها النظري ، و أيضا في شقها العملي ، ليست سوى أزمة أخلاق فإذا كانت العقلانية شعار العقل الحديث ، فإن هذه العقلانية بحسب طه عبد الرحمان ليست سوى عقلانية مضيقية ، وليست عقلانية موسعة ومن ثم فقد وقعت في

¹ طه عبد الرحمان : روح الحدثا ، المدخل الى تأسيس حدثا إسلامية ص 15.

² آمال موهوب : القيمة الأخلاقية من منظور طه عبد الرحمان ، ص 139.

أزمة قصد ، ناتجة عن فصل العقل عن الغيب ومن ثم فصل الأخلاق عن الدين ، وجعلها دنيوية غير مسددة بالوحي الإلهي¹ .

ج- مواجهة الحداثة :

يدعو طه عبد الرحمان من خلال مشروع الفكر الأخلاقي الى ضرورة إعادة النظر في الحداثة الغربية نتيجة الإنتقادات التي وجهت لها ، لعقل أهم هذه الانتقادات أنها حداثه عقلانية أكثر مما هي أخلاقية² خاصة اذا اعتبرنا أن الأخلاق هي من الصفات الضرورية التي تتبني عليها المجتمعات ، فما بالك في انعدامها أصلا ، لذلك عما طه عبد الرحمان جاهدنا على التصدي لها ومحاربتها بشتى الطرق والوسائل .

د-مواجهة العولمة :

إن العولمة تسعى بفعلها المستمر الى الباس كل أنواع التنمية لباس التنمية الاقتصادية الرأسمالية ، أي ادخالها في سياق المبادلات التجارية الحرة ، حتى انه يجوز الكلام بهذا الصدد عن واقع التسلط الاقتصادي حيث ان التنمية هنا بمثابة هدف حضاري أفرزته مقتضيات الحداثة الغربية³ .

ومن هذا قد نتج عن العولمة تغيرات كبيرة ثقافية اقتصادية ، مما جعل الباحثين والمفكرين يتوقعون حدوث الكثير من التغيرات العميقة .

وهنا يقول طه عبد الرحمان : "العولمة هي السعي الى تعقيل العالم بما يجعله يتحول الى مجال واحد من العلاقات الاخلاقية أو قل مجال علاقي أخلاقي واحد " ، ومن هذا المفهوم

¹ كريم محمد : السؤال الاخلاقي في فلسفة طه عبد الرحمان ، من النظر الى العمل ، بتاريخ 14 أكتوبر 2017 شبكة

حفريات الكترونية <https://www.hafryat.com/ar/blog>

² طه عبد الرحمان ، روح الحداثة ص 210.

³ المصدر نفسه ص 210.

الخاص للعلومة من الضروري الارتقاء بالتعقيل المادي المضيق للعلومة الى مستوى التعقيل الروحي الموسع وذلك على ضوء مبادئ مادية¹ تتمثل في :

✓ **مبدأ الفضل** : مفاده التنمية الصالحة لا تكون الا بتكامل المقوم الاقتصادي مع

المقومات الأخرى للتنمية ، ودوام اتصاله بالأفق الروحي .

✓ **مبدأ الاعتبار** : مفاده ان العلم لا يكون بالنظر في حكمة الشيء قبل سببه ، وفي

مآله قبل حاله ، أي أن العلم لا يجب أن يورث المضار.

✓ **مبدأ التعارف** : مفاده ان التواصل السليم لا يكون الا بالكلام الطيب من المتكلمين

بعضهم أكرم من بعض أي تكون العلاقات مبنية على الحوار والتفاهم .

لهذا نجد طه عبد الرحمان يقول : "ان الدين الذي يقدر على قهر العلومة هو دين

الاسلام"² أي من مهمة المسلمين .

4- موقفه من الأخلاقية العربية المعاصرة (الجابري) :

سنتعرف في هذه النقطة على الموقف النقدي لطه عبد الرحمان من فلسفة الاخلاق

المعاصرة من حيث هي امتداد للعقلانية الحديثة ، ويتجلى ذلك واضحا في كتابه (تجديد

المنهج في تقويم التراث) الذي خصه بدراسة نقدية واعتراضية للكتابات المعاصرة من بينها

كتابات محمد عابد الجابري.

نلاحظ أن في الفصول الثلاثة من الباب الاول لكتابه السابق الذكر أنه قد تطرق لموقف

محمد عابد الجابري من التراث العربي الاسلامي وفي هذا السياق يقول: (إن الآليات

الاستهلاكية التي استخدمها الجابري في تقويم التراث تبنى على مبادئ ثلاث تعارض

¹ طه عبد الرحمان : روح الحدائة ، ص 210.

² دالي زهية : المشروع الفلسفي لطه عبد الرحمان ، ص 68.

المبادئ التراثية الأصلية ، وهذه المبادئ المعارضة هي : مبدأ الموضوعية ، مبدأ العلمانية ، مبدأ النظر المتوحد)¹.

-أما في كتابه (سؤال الأخلاق) فنجده يشير الى موقف بعض الباحثين والمفكرين العرب وخاصة المغاربة منهم ، يقول طه عبد الرحمان : "لقد ظهرت دراسات التراث العربي في النصف الثاني من القرن المنصرم بدع فكرية كثيرة نشرها بعض الباحثين المغاربة والتي تقول بأن العطاء الفكري في الغرب الاسلامي تميز بكونه عطاء عقلايا برهانيا فبينما ظل في المشرق عطاء عرفانيا خياليا"².

فالجابري من خلال طه عبد الرحمان أراد اعادة النظر للتراث العربي الاسلامي إلا أنه وقع في أخطاء كثيرة في معالجته التحليلية ودراسته التقويمية للتراث العربي الاسلامي .

ونفهم من كل هذا أن محمد عابد الجابري قد اهتم بالنقد للتراث لكنه لم يعتمد على الآليات المناسبة لذلك لأنه كانت معالجة الجابري للتراث مفتقرة الى هذا النقد الضروري ، حق القارئ أن يتحفظ في النتائج التي توصل اليها وسائله ، إن لم يذهب به هذا التحفظ الى حد التشكيك في قيمتها الاجرائية³.

ونستنبط من هذا القول أنه ما دام الجابري قد استعمل وسائل غير مناسبة في دراسته للتراث العربي الاسلامي فإن النتائج التي توصل اليها لا يمكن الأخذ بها ، لأن الجابري قام بقياس التراث بمقاييس غير أصلية ، بل ذهب طه عبد الرحمان الى أبعد من هذا في نقده للجابري متهما اياه بأنه اعتمد على مبادئ لم تعد مستعملة حتى عند الغربيين أنفسهم وذلك من خلال قوله : "إن ما أسماه "التصور العلمي في ارقى مراتبه" لا يمكن التسليم به به ، فالمصادر

¹ طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 41.

² طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق ، ص 200.

³ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

الفرنسية التي اعتمدها في بناء منظوره العلمي من العقل والتي ذكر بعضها تنتمي الى النصف الأول من هذا القرن ان لم يكن بعضها ينتمي الى فترة قبلها¹

بقي طه عبد الرحمان يواصل نقده للأسس التي اعتمدها الجابري قائلاً : "الحاصل ان استخدم الجابري الآلية المقابلة يخرج خروجاً عن الطوابط المنطقية المقررة فيها"²

ويؤكد ذلك أكثر (ان التقسيم الثلاثي البرهان ، البيان ، العرفان تقسيم فاسد... ولو أن الجابري قد اعتمد معيار موحداً لكان له الخيار في التقسيمات متعددة)³.

وخلاصة القول أن طه عبد الرحمان يرفض رفضاً تاماً جازماً ما ذهب إليه محمد عابد الجابري سواء شكلاً أو مضموناً حيث يعتبره بدعة شاذة وفي هذا المعنى يقول : "إن العقلانية المجردة التي يرفعها هذا الباحث الى أعلى المراتب ، لا تنزل عندنا إلا الرتبة الدنيا من رتب العقلانية ، إذ تعلوها رتبة العقلانية المسددة ومن فوقها رتبة العقلانية المؤيدة"⁴.

- نجد عرضنا للموقف النقدي لطه عبد الرحمان للفكر الأخلاقي اليوناني والحديث والمعاصر أن الأوان بنا الانتقال إلى مرحلة البناء والبديل الذي يقترحه كنموذج أخلاقي فما هو هذا البديل ؟ .

المبحث الثاني : النظرية الأخلاقية الطاهائية :

حاول طه عبد الرحمان نسج نظرية بديلة تعيد الاعتبار للفكر العربي الاسلامي حيث يقول : "فكان لا بد من وضع نظرية تقدم بشرط التناسب فأبدلنا مفهوم التخلق مكان التعقل ومفهوم التعرف مكان التنكر وأسميناها بنظرية التعبد"⁵.

¹ طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 42 ص43.

² جلول خدة معمرة : الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر العربي المعاصر ، 146

³ طه عبد الرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص ، 55.

⁴ طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، ص 200.

⁵ طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق ، ص 94.

إن الاخلاق البديلة التي اعتمدها طه عبد الرحمان تقوم على جانبين هما :

أولاً: البعد الديني في النظرية الاخلاقية عند طه عبد الرحمان :

إن النظرة الاخلاقية لطه عبد الرحمان تبني على تأكيد الصلة بين الاخلاق والدين أي أن الاخلاق متصلة بالدين اتصالاً وثيقاً ، ومن هذا فإن رؤيته تقوم على :

1- ان الدين هو الاصل في الأخلاق .

2- الدين هو الأصل في التقويم الأخلاقي للأفعال .

3- الدين كله أخلاق أحكاماً ومقاصداً .

والنتيجة المترتبة عن هذه الاسس الثلاث هو أن لا أخلاق دون دين ولا دين دون أخلاق ، وهذا ما لم يكن موجود في الحضارة الغربية كما رأينا سابقاً ، فالحضارة الغربية اعتبرت أن الأخلاق ليس لها علاقة بالدين ، ومنه فالأخلاق أكثر منها دنيوية على أن تكون أخروية ، وبهذا تكون نظرية طه عبد الرحمان الأخلاقية مبطلّة لمسلمات النظريات الاخلاقية غير الاسلامية ، ومبطلّة أيضاً لمسلمات أخذ العمل بها من طرف بعض علماء المسلمين وهي التفرقة بين العقل والشرع والتفرقة بين العقل والقلب.

- فما هي أركان النظرية الأخلاقية عند طه عبد الرحمان ؟

ان أركان النظرية الأخلاقية الإسلامية عنده ثلاث¹ هي :

أولها: ركن الميثاق الأول و الأخلاق الكونية:

مضمون هذا الركن هو أنه يربط بين العقل والشرع حيث يقول : "أن ما يدركه الأول(أي العقل) هو نفسه ما يقره الثاني (الشرع)"².

ويتأسس هذا الركن بدوره على مجموعة من الخصائص :

¹ آمال الموهوب :القيمة الأخلاقية من منظور طه عبد الرحمان ، ص 145.

² طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، ص 157.

1-أخلاق الميثاق الأول أخلاق مؤسسة .

2-أخلاق الميثاق الأول متعددة إلى العالم كله .

3-أخلاق الميثاق أخلاق شاملة .

ثانيها : ركن شق الصدر والأخلاق العميقة :

نلاحظ هنا أن طه عبد الرحمان يستعمل مفاهيم ودلالات دينية ، وهو هنا يقصد تلك الحادثة التي وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقول : "يرمز القلب في الممارسة الإسلامية إلى ذات كامنة في الإنسان تعبر عن حقيقة وتصدر عنها كل أفعاله ، بحيث إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله"¹.

- ويتأسس هذا الركن كذلك على مجموعة من الخصائص :

1-أخلاق شق الصدر هي أخلاق تطهير .

2-أخلاق شق الصدر هي أخلاق تأهيل .

3-أخلاق شق الصدر هي أخلاق تجديد .

ثالثها : ركن تحويل القبلة والأخلاق الحركية :

نلاحظ هنا أيضا أن طه عبد الرحمان يستخدم مفاهيم ودلالات دينية مثل محسوبية القبلة ومعقولية التعبد² وهنا إشارة إلى تلك الحادثة التي وقعت في بداية الدعوة الإسلامية ، وهي حادثة تغير القبلة ، وهذا الركن يتعلق بالجمع بين العقل والحس ويتفرع عنه الأخلاق الإسلامية أخلاق حركية ، لأنها أخلاق إشارة.

ويرى طه عبد الرحمان أن هذا الركن يترتب عنه أخلاق تتصف بالخصائص التالية :

¹ طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، ص 160.

² عبد اللطيف كمال : أسئلة الفكر الفلسفي في المغرب ، ط1، المغرب ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 2003،ص 142.

-أخلاق القبلة أخلاق اشارية : يكون كمال التخلق عبارة عن كون الإنسان لا يرى شيئاً محسوساً إلا ويرى فيه معنى معقولاً ، ومعنى هذا أن القبلة مجرد رمز مادي يحمل دلالات أخلاقية عميقة¹.

-أخلاق القبلة أخلاق انفتاحية : يقول طه عبد الرحمان : "ولما كان المتوجه إليه حساً هو البيت ولكن عقلاً هو ربه الحامي له"².

-أخلاق القبلة أخلاق اجتماعية : (يكون أصحاب القبلة أكثر من غيرهم قدرة على التخلق بأخلاق الجماعة متى استوفوا شرط سق الصدر والشاهد على ذلك هو تحولهم جماعة من القبلة الى القبلة الثانية)³ ومعناه أن الاخلاق القبيلة أخلاق جديدة .وفي الاخير ما يمكن أن نخلص اليه هو :

- نظرة طه عبد الرحمان نظرة تجديدية للمسألة الأخلاقية .

-أخلاق طه عبد الرحمان هي أخلاق تحمل صبغة صوفية .

-أن الاخلاق تابعة للدين .

-النظرية الأخلاقية لطه عبد الرحمان تجعل الإسلام هو دين مستقبل .

ثانياً : مقاصد النظرية الأخلاقية عند طه عبد الرحمان :

1-مشروع طه عبد الرحمان الفكري والاخلاقي :

يمكن القول إن المشروع الفلسفي الأخلاقي للدكتور طه عبد الرحمان ينقسم منطقياً وليس مرحلياً ، الى عناصر ثلاثة :

¹ طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، ص 166.

² نفسه ، ص 166.

³ نفسه، ص 166 .

أولاً : التأكيد على تمايز الفكر العربي الإسلامي عن الفلسفة الغربية وفكرها الحدائي ،
وبذلك يصبح ممكناً أن تقوم لكل ثقافة فلسفة خاصة ، وفكر حدائي مميز لها .

ثانياً : إعادة الارتباط بين الأخلاق باعتبارها عمل وليس نظر وبين الفلسفة النظرية عموماً ،
ومفهوم الحدائنة خصوصاً ، وبذلك يصبح الفكر النظري والعمل الأخلاقي وجهات لعملة
واحدة .

ثالثاً : تأسيس مفهوم العمل الأخلاقي على مبادئ وقيم الدين الإسلامي وعلى قراءة معاصرة
للقرآن الكريم ، وذلك باعتبار الدين الإسلامي رسالة إنسانية في المقام الأول¹.

ومن هنا نجد أن طه عبد الرحمان يبحث من خلال مشروعه التجديدي والإحيائي منطلقاً من
مبدأ (المفاهيم المسؤولة) التي بحث عن ماهيتها في أعماق التراث والدين ، والسياسة ،
والحدائنة ، وغيرها ليصنع من خلالها رؤية واضحة وشاملة في معالجة واقع اجتماعي عربي
إسلامي عبر تجلياته وأفاقه بمعاني اصطلاحية للمفاهيم التي اختارها مداخل لمضامين كتبه
أو مفاهيم عبر من خلالها عن خصوصيات الفكر العربي الإسلامي في معالجته لقضاياها
المختلفة من وجهة نظر الفيلسوف والمفكر السياسي ، ليجعل هذه الأمة جوابها الخاص عن
أسئلة زمانها ، وإن كان يرى أن الجواب أن الجواب الإسلامي عن أسئلة هذا الزمان تتجلى
في حقيقتين اثنتين إحداهما الإيمان الذي يتوصل إليه بالنظر المكثوث في الآيات ، والثانية
هي التخلق (التمسك بمكارم الأخلاق).

- أما التعقل فإنه من أهم الفضائل التي تميز الإنسان غيره من الكائنات الأخرى ، يقول :
"التعقل هو التحفظ في اصطناع تقنية ممكنة والتصون من الإكثار من هذه الوسائل دفعا
لسوء العواقب".²

¹ غيضان السيد علي ، مشروع طه عبد الرحمان الفلسفي والحق في الابداع الفكري الإسلامي ، قسم العلوم الإنسانية
والاجتماعية ، مؤمنون بلا حدود ، مؤسسة دراسات وأبحاث ، ص 1.

² طه عبد الرحمان : سؤال الاخلاق ، ص 132.

-أما التخلق فإنه جوهر الانسان وماهيته ، فماهية الانسان ماهية خلقية ، ان المتخلق الذي يجعل القيم الأخلاقية والروحية هي صلب أفعاله ، أي لا تكون هذه الأفعال نافعة ومشروعة إلا إذا سعت الى تحقيق هذا المقصد الخلقي والروحي .

- فالتخلق عبارة عن الإشتغال الذي يدفع عن الانسان آفة العمل بمبدأ السيادة ويجلب له الحكمة في اختراع التقنية والتأييد في استثمارها¹.

ويعتمد طه عبد الرحمان الى الربط بين هذين المبدأين التعقل والتخلق بوصل الإنسان بمرتبة العبادة ، فمتى وصل العقل الى مرتبة التعبد طمع في تحصيل المعية الإلاهية أثناء سعيه الى ترسيخ الذات الإنسانية وتصير بذلك حركة الإنسان في الكون بفضل العبادة امتدادا لتأمله الحسي الطبيعي وصارت الحسيات عنده معايير للعقليات فالعبادة تعتبر همزة وصل بين النظر والفعل وبالتعبير الطاهائي مجال الاعتبار فمقتضى الاعتبار ان هو العبور من أحكام النظر الى أسرار العبر فيكون المعبر هو من يرى -الظواهر على أنها آيات وينسب على الكون الى صاحب هذه الآيات².

وهكذا فالمشروع الأخلاقي عند طه عبد الرحمان يسعى الى اضاء طابع ديني على العلوم ، فالإسلام هو دين البشرية جمعاء .

2-مبادئ وأسس الأخلاق الاسلامية عند طه عبد الرحمان :

ان الاخلاق البديلة التي اعتمدها طه عبد الرحمان في اعادة تأسيس السؤال الأخلاقي تقوم على مبدأين³ هما :

¹ طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، ص 113.

² المصدر نفسه، ص 113.

³ آمال موهوب : القيمة الأخلاقية من منظور طه عبد الرحمان ، ص 144.

-المبدأ الأول : يتمثل في أن الأخلاق ليست جملة من الصفات الحسنة التي تكمل سلوك الأشخاص وإنما هي مجموعة من الصفات الضرورية لهذا السلوك ، بحيث إذا فقدها الفرد نزل عن رتبته كإنسان .

-المبدأ الثاني : يتمثل في أن الأخلاق لا تتحصر في مجموعة جزئية من أفعال الإنسان بل تشمل كل الأفعال فما من فعل يأتيه الإنسان إلا وينطبق عليه الحكم بالخير والشر ، وهكذا فنظرتة الأخلاقية تتبني على التأكد على الصلة بين الأخلاق والدين .

3-النقد الموجه لطفه عبد الرحمان :

-يعد طه عبد الرحمان من بين المفكرين والفلاسفة الذين اهتموا بقضايا العالم العربي الإسلامي ، حيث كان يسعى من خلال مشروعه النقدي الى تأسيس لحدثة اسلامية عربية لها مبادئها وأصولها الخاصة بها ، ولكن رغم ذلك لم يسلم هذا المشروع من انتقادات ونقائص ، وهذا ما يجعلنا نطرح السؤال الآتي : فيما تتمثل الإنتقادات التي وجهت للمشروع النقدي لطفه عبد الرحمان ؟

- لكن مشروع طه عبد الرحمان النقدي ، وإن بلغ درجة عالية في البيان والتماسك يظل في اعتقادنا الى شرح وتقديم ، فطفه عبد الرحمان اذ يدعو الى نقد العقلانية قد يصنف عند دعاة العقلانية في قائمة اللاعقلانيين ، واما حين يساهم في نقل الحدثة داعيا بذلك الى وضع اشكاليات النهوض العربي والاسلامي في اطارها الإنساني الأوسع قد يجرد (... .) ، مما قد يجعل مشروعه محط انتقادات سطحية ، الهدف منها في أحيان كثيرة هو تزويد القراءة فيه¹ أي أن ما قام به طه عبد الرحمان من خلال مشروعه النقدي كان له نوع من التماسك ، وأنه ساهم ولو بقليل في تقديم الأمة العربية وخروجها من بؤرة التخلف ، إلا ان الفلاسفة والمفكرين قدموا ووجهوا له انتقادات ونقائص يجب إعادة النظر فيها ودعوا الى إعادة تمحيصها .اضافة الى ذلك من خلال القول بالنظرة التكاملية والشمولية للتراث وجهت له

¹ خالد حاجي : من مضايق الحدثة الى الفضاء الإبداعى والاسلامي والعربي ، ص 155 ص 145

انتقادات من قبل الفلاسفة وعلى هذا الأساس قدموا بدائل أخرى ، فمنهم من يرى على ضرورة وجوب النظرة التجزيئية مع التراث وآخرون يقرون بوجوب القطعية الكلية مع التراث أمثال عبد الله العروي .

خاتمة

خاتمة:

ما يمكن ملاحظته في الأخير أن هناك بعض الدراسات ترفض وجود فكر فلسفي أخلاقي مغربي معاصر، غير أنه من خلال بحثي هذا تبين لي أن هناك محاولات كثيرة ترفض التقليد و تسعى إلى الابداع و التجديد قصد التميز، وهذا ما التمسته في المشروع الفكري الأخلاقي للمفكر المغربي طه عبد الرحمان، حيث يرى أن الأخلاق هي التي تحدد ماهية و جوهر الانسان وليس العقل، و أن تكون هذه الأولى نابعة من الثقافة العربية بوسائلها ورجالاتها .

وعليه فان من جملة النتائج التي استخلصتها من خلال دراستي للمشروع الأخلاقي الفكري لظه عبد الرحمان ما يلي:

- رفض و انتقد طه عبد الرحمان العقل الغربي و العقلانية المجردة التي تعمل بالعقل الانساني لأنها تخالف الشريعة الاسلامية كونها لا تميز بين الانسان و الحيوان.
- يرى أن أعلى مراتب درجات العقلانية هي العقل المؤيد و تظهر في التصوف و الزهد، فأينما حل المتقرب و حصل على درجة العبدية حصل له التأييد الرباني.
- دعوة طه عبد الرحمان إلى تحديث الفكر الاسلامي من خلال ابداع المفاهيم و المصطلحات، و اعادة النظر في مفهوم العقل.
- حول طه عبد الرحمان من خلال مشروعه التجديدي أن يؤسس لأخلاق اسلامية انطلاقا من دعوته إلى التأسيس لفلسفة قومية خالصة ليتجاوز حول ما أشيع من أن المفكر الغربي هو الوحيد القادر على التفلسف.
- استطاع طه عبد الرحمان من خلال مشروعه الأخلاقي أن يؤسس لفلسفة عربية اسلامية تضاهي الفلسفة الغربية من خلال دعوته إلى الابداع و التجديد.
- سعى طه عبد الرحمان إلى بناء فلسفة أخلاقية اسلامية تقوم على مسلمات أساسية في نقد الحداثة العربية و هي أن لا الانسان بغير أخلاق و لا أخلاق دون دين.

و في الأخير لا يسعني إلا القول أن طه عبد الرحمان يعتبر فيلسوفا مجددا و مبدعا بمعنى الكلمة، حيث استطاع بالفعل أن يؤسس لبداية مرحلة التفكير الانساني، إذ يعتبر مشروعه الأخلاقي التجديدي بمثابة نقطة انفصال حاسمة على الفلسفة الغربية، فحاول انشاء فلسفة اسلامية تقوم على مبدأ التخلق لا على مبدأ التعقل.

و من هنا نجد أن طه عبد الرحمان قد حاول التأسيس لرؤية أخلاقية عالمية معاصرة بقدر عالمية الاسلام و هذا ما يفتقده الفكر العربي الحديث و المعاصر.

A decorative border with a repeating floral and scrollwork pattern, featuring leaves, flowers, and swirling lines, framing the central text.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

❖ المصادر:

-القرآن الكريم.

- 1-طه عبد الرحمان : الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ،ط1،الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي 2008
- 2-طه عبد الرحمان : الحوار أفقا للفكر .ط1، بيروت ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر . 2013.
- 3-طه عبد الرحمان : الحوار أفقا للفكر ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، ط1 ، 2003
- 4-طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية ، المركز الثقافي العربي لبنان ، 2000
- 5-طه عبد الرحمان : سؤال العمل . بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم ، ط1 . المغرب 2012
- 6-طه عبد الرحمان : فقه الفلسفة ، كتاب مفهوم والتأثيل ط2 ، الدار البيضاء ، المغرب المركزي العربي 2005
- 7-طه عبد الرحمن : حوارات من أجل المستقبل، ط1، دار الهدى للنشر و الطباعة، الدار البيضاء، 2005
- 8-طه عبد الرحمن : روح الحدثة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006
- 9-طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب 2007
- 10-طه عبد الرحمن: تعددية القيم، ما مداها وحدودها، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب 2001

❖ - المراجع:

- 1-ابراهيم مصطفى ابراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم (د.ط)، دار و فاء للطباعة و النشر الاسكندرية، 2001
- 2-ابراهيم ونزار : مكانة الإنسان في الفلسفة الأخلاقية العربية قراءة في الفكر الأخلاقي لأبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (325-421هـ) . القاهرة.
- 3-ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق، ط2، المطبعة الحسينية، جمهورية مصر العربية، 2017
- 4-ابن مسكويه دراسة تحقيق عماد الهلالي: تهذيب الاخلاق و تطهير الأعراق، ط1، 1426
- 5-اسعد السمراني : الأخلاق في الإسلام و الفلسفة القديمة ، ط1، دار النفائس ، بيروت ، 1988

- 6-الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، 2010
- 7-السيد محمد عقيل بن علي المهدي: المنهج الفلسفي عند الغزالي و ديكارت للوصول الى الحقيقة ط2، دار الحديث، القاهرة
- 8-الموسوعة العربية مختارات اجتماع فلسفة و عقائد، ط2، منتدى مكتبة الإسكندرية.
- 9-ايمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر عبد الغفار مكاوي و مراجعة عبد الرحمان بدوي الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980
- 10-أحمد عثمان ، الأدب الإغريقي، تراثاً إنسانياً وعالمياً، ط2، دار المعارف، القاهرة
- 11-جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982
- 12-خالد حاجي : من مضايق الحداثة الى فضاء الابداع الاسلامي والعربي ، ط1، المغرب ، المركز الثقافي العربي ظن 2005
- 13-رحيم أبو رغيف الموسوي: الدليل الفلسفي الشامل ، دار الحجة ، البيضاء ، لبنان ، ج1 ، ط1 ، 2013
- 14-رضا شريف : أسئلة التراث و الحداثة في فكر محمد عابد الجابري (المعرفة ، السياسة ، الأخلاق) ، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2018
- 15-رينيه ديكارت، مقال عن المنهج لأحكام قيادة العقل و للبحث عن الحقيقة في العلوم، ترجمه و شرحه: محمود الحضري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة ، 1930
- 16-عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة، ج1 ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 1979-1981
- 17-عبد اللطيف كمال : أسئلة الفكر الفلسفي في المغرب ، ط1، المغرب ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 2003
- 18-عبد المالك بو منجل : الابداع في مواجهة الاتباع ، قراءات فكر طه عبد الرحمان ، ط1 ، بيروت لبنان المؤسسة العربية للفكر والابداع، 2017،
- 19-علي سعيد، لمحة عن الفكر الأخلاقي في الفلسفة اليونانية، ط2، دار المعارف ، القاهرة، 2010
- 20-غيطان السيد علي ، مشروع طه عبد الرحمان الفلسفي والحق في الابداع الفكري الاسلامي ، قسم العلوم الانسانية والاجتماعية ، مؤمنون بلا حدود ، مؤسسة دراسات وأبحاث
- 21-كريم محمد : السؤال الاخلاقي في فلسفة طه عبد الرحمان ، من النظر الى العمل ، بتاريخ 14 أكتوبر 2017
- 22-مارتن هايدغر : التقنية والحقيقة والوجود : تر محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح ، (د ط) بيروت ، المركز الثقافي العربي 1995
- 23-مجموعة المؤلفين ، إشراف و تحرير سمير بلكفييف ، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلي مأزق الإجراء

ط1 ، دار الإيمان ، الرباط ، 2013،

24-محمد أحمد الصغير: خصائص التجربة العقلية و الصوفية من منظور طه عبد الرحمان ، مجلة مؤمنون بلا حدود ، العدد ،2مايو ،2014

25-مراد وهبة : المعجم الفلسفي، (د.ط)، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007

26-موزه أحمد راشد العباد: القيم الأخلاقية بين الفكرين الاسلامي و الغربي في عصر العولمة، ط1، الدار العالمية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2008

27-ول ديورانت: ترجمة فتح الله المشعشع، قصة فلسفة، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1988

28-وليام ليلي : مقدمة في علم الأخلاق ، تربية وتقديم علي عبد المعطي محمد ، دار الكتب و الوثائق القومية الإسكندرية، د.ط ، 2000

❖ المعاجم و الموسوعات:

1-ابن منظور ، لسان العرب، ط2 ، دار المعارف، القاهرة، 2007

2-الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، ، ط3، دار الحديث القاهرة، 2013.

❖ المجلات و الدوريات:

1-آمال موموهب : القيمة الاخلاقية من منظور طه عبد الرحمان ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية

العدد 20 سبتمبر 2017

2-حامد عبد الحمزة محمد علي ، النظرية الأخلاقية في فلسفة القديس توما الاكويني ، مجلة العلوم الإنسانية العدد الثالث، ايلول، 2016

3-دالي زهية: المشروع الفلسفي لطه عبد الرحمن، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 16 جوان 2016.

❖ المذكرات:

1-جوادي الجيلاني : نقد الحداثة عند طه عبد الرحمان ، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي جامعة

قاصدي مرياح ، مراكش، ابراهيم ، قسم العلم الاجتماعية ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

2016-2017

2- قروش حيزية، الكوجيتولين ديكرت و طه عبد الرحمان، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة،
اشراف

مقورة جلول، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة،
2017-2016

3- فيجل الهاشمي : التأسيس الأخلاقي للحضارة عند القديس أوغسطين، مذكرة مكلمة لنيل شهادة
الماستر في الفلسفة ، إشراف مزواد نسيبة ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة
محمد بوضياف المسيلة ، 2016-2017
الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ط3، دار الحديث القاهرة، 2013.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns in black ink, framing the central text. The border consists of four corners with elaborate designs, connected by straight lines on the top and bottom.

فهرس المحتويات

تشكرات.....	
اهداء.....	
أ مقدمة.....	
الفصل الأول: تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور	
01	المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.....
01	تمهيد.....
01	4- المفهوم اللغوي.....
02	2- المفهوم الاصطلاحي.....
02	3- مفهوم الأخلاق عند طه عبد الرحمان.....
04	المبحث الثاني: تطور مفهوم الأخلاق عبر العصور.....
05	ب- الأخلاق عند اليونان.....
06	• الأخلاق عند سقراط.....
07	• الأخلاق عند أفلاطون.....
08	• الأخلاق عند أرسطو.....
09	ب- الأخلاق في العصور الوسطى (500-1500م).....
09	• الأخلاق عند القديس أوغسطين.....
11	• الأخلاق عند توما الاكوييني.....
12	ج- الأخلاق في العصر الحديث.....
12	• مذهب المنفعة العامة.....
13	أولا: النفعية عند بنتام (1748 - 1832م).....
14	ثانيا: الأخلاق عند سبينوزا أنموذجاً.....

15 الأخلاق عند العرب و الغرب.....
15 • الأخلاق عند الفارابي (260-339م)
17 • الأخلاق عند ابن مسكويه (320-421م)
20 • الأخلاق عند رينيه ديكارت(1596-1650م)
21 • الأخلاق عند ايمانويل كانط (1724-1804)
22المبحث الثالث: مدخل إلى المشروع الاخلاقي لطفه عبد الرحمان
22 السيرة الذاتية لطفه عبد الرحمن.....
22 منهجه.....
23 أهم مؤلفاته.....
24 فلسفته.....
 الفصل الثاني: الأخلاق و علاقتها بالعقل في فلسفة طه عبد الرحمان
27 تمهيد.....
28المبحث الأول : العقل الأخلاقي الإسلامي من منظور طه عبد الرحمن.....
281- مفهوم العقل في فلسفة طه عبد الرحمان
292- عوائق إبداع العقل الإسلامي
313- نقد العقل الغربي عند طه عبد الرحمان
32المبحث الثاني : عقلنة الاخلاق عند طه عبد الرحمان
331- النظرية الاخلاقية الاسلامية
343- مراتب العقل عند طه عبد الرحمان
35أ-العقل المجرد.....

37	ب- العقل المسدد
39	ج- العقل المؤيد
42	الفصل الثالث: المشروع الأخلاقي لطفه عبد الرحمان
42	المبحث الأول: موقف طه عبد الرحمان النقدي للنظريات الأخلاقية.....
42	1-موقف طه عبد الرحمان من فلسفة الأخلاق اليونانية (الأرسطية).....
44	2- موقف طه عبد الرحمن من فلسفة الأخلاق الحديثة (ديكارت - كانط)
44	1-2- موقفه من فلسفة الأخلاق الديكارتية.....
46	2-2-موقفه من الأخلاق الكانطية
47	3- موقف طه عبد الرحمان من النظريات الاخلاقية المعاصرة :
47	1-3- موقفه من الاخلاقية الغربية المعاصرة
50	2-3- نقد طه عبد الرحمان للحضارة الغربية
51	4- موقفه من الأخلاقية العربية المعاصرة (الجابري)
63	المبحث الثاني : النظرية الأخلاقية الطاهانية
64	أولاً: البعد الديني في النظرية الأخلاقية عند طه عبد الرحمان.....
64	ركن الميثاق الأول و الأخلاق الكونية.....
65	ركن شق الصدر و الأخلاق العميقة.....
65	ركن تحويل القبلة و الأخلاق الحركية.....
66	ثانياً: مقاصد النظرية الأخلاقية عند طه عبد الرحمان.....
66	1-مشروع طه عبد الرحمان الفكري والاخلاقي.....
68	2-مبادئ وأسس الأخلاق الاسلامية عند طه عبد الرحمان

69 3-النقد الموجه لظه عبد الرحمان
71 خاتمة
 قائمة المصادر و المرجع
 فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ